# (مدائح المحبين في سيد المرسلين)

## وكونـه - صلى الله عليه وسلم- نورا

**تأليف**

**د/ سالم عبدالعزيز سالم عوده**

**الإهداء:**

**إلى كل من أحسن إليَّ**

**وإلي أساتذتي الذين أناروا لي سُبل العلم بإرشادهم وكرم أخلاقهم ومنـهم:**

**من مصر:**

**-أد إبراهيم الدسوقي جاد الرب**

**-أد خطري عرابي**

**-أد أحمد على مرسي**

**-أد أحمد شمس الدين الحجاجي**

**-أد حسين نصّار**

**-أد يوسف خليف**

**- أد محمود فهمي حجازي**

**-د مي بنت أحمد بن محمد ال خليفة (مملكة البحرين)**

**ومن ليبيا:**

- **أد حسين عقيل حسين**

**وغيرهم ، أهدي لهم هذا الكتاب وثوابه في الدنيا والبرزخ والآخرة ،وجزاهم الله كل خير.**

**تقديم وتمهيد :**
**قصيدة المديح النبوي غرض من أغراض الشعر العربي بدأ على أغلب الظن مع عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال بعد أن استسقى لقريش بوجه النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام :**

**وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[1]**
**يلوذ به الهلاك من آل هاشـــــم فهم عنده في نعمة وفواضل**

**ومدحه الأنصاربأنشودتهم الخالدة حين دخوله مدينته المنورة به صلى الله عليه وآله وسلم" و ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول و بعثوا رجلا من أهل البادية يؤذن بهم الأنصار فجاء البدوي و آذن بهم الأنصار و صعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مبيضين ؟ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ! هذا جدكم الذي تنتظرون ! فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بظهر الحرة و هم خمسمائة رجل من الأنصار فتلقى الناس و العواتق فوق الأجاجير و الصبيان و الولائد يقولون :**
**طلع البدر علينا من ثنيات الوداع**
**وجـب الشكر علينا ما دعا لله داع**
**جئت نورت المدينة مرحبا ياخير داع**

**و أخدت الحبشة يلعبون بحرابهم لقدوم رسول الله صلى الله عليه و سلم فرحا بذلك"[2]**
**اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك ونبيك صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إنني أحب الأنصار وأبناء الأنصار وذرية الأنصار والمدينة المنورة بحبيب الأنصار ، اللهم اجعل لي فيها مقاما وقبرا بحولك وقوتك وشفاعة النبي الأنور الأكرم يارب العالمين.**

---

[1] **الخصائص الكبرى - (1 / 145)والقصيدة بكاملها في كتب السيرة النبوية والتاريخ وتفاسير القرآن الكريم**

[2] **السيرة لابن حبان - (1 / 127)**

**ومما تقدّم فالمدائح النبوية ليست عبادة لها طقوس وأركان بل هي تعبير قولي بالشعر أو بالنثر عن محبة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ،والنبي فرح بها كما جاء في السيرة النبوية لابن حبان .**

**والمدائح النبوية غير محددة بزمان ومكان وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،بل هي ممتدة ومستمرة حتى قيام الساعة لكل مادح من كل مكان وجنس ولسان ودين وثقافة ، لأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالمين (كل العوالم) وما فيها من إنس وجن وغيرهم من خلق الله ، قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء : 107]

## المدح لغة واصطلاحا:

**في اللغة:**

**- "( مدحه )مدحا أثنى عليه بما له من الصفات ،( مدحه ) أكثر مدحه ( امتدح ) المكان اتسع ويقال امتدحت خاصرة الماشية اتسعت شبعا ،( تمادحا ) مدح كل منهما الآخر**

**وفلان تكلف أن يمدح ويقال هو يتمدح إلى الناس يطلب مدحهم ، وقرظ نفسه وأثنى عليها وافتخر بما ليس عنده وفلانا مدحه**

**( الأمدوحة ) ما يمتدح به ( ج ) أماديح**

**( المدحة ) الأمدوحة ( ج ) مدح**

**( المديح ) الأمدوحة ( ج ) مدائح**

**( الممادح ) المحاسن تذكر في المدح [1]**

**"المدائح في اللغة" مدحه : أثنى عليه بما له من الصفات .**

**مدائح : ما يُمدح به من القول وهو غرض من أغراض الشعر[2]**

**-المديح النبوي هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما[3].**

**ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله**

---

[1] المعجم الوسيط (2 / 858)

[2] موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان - (18 / 270)

[3] د جميل حمداوي –شبكة المعلومات الدولية-

**بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة. وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالمولديات.**

**وتعرف المدائح النبوية كما يقول الدكتور زكي مبارك بأنها فن:" من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص[1]."**

**لكن التعريفات السابقة لم تف بالغرض ،فكلها لم تظهر خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره من الممدوحين.**

**لذا يجب أن نظهر ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره من كل البشر وهذا يستوجب أن نوضح معنى الرثاء والمدح معا.**

**الرثاء:**

**ذكر محاسن الميت ،كما أنّ ألمدح ذكر محاسن الحي ،وذكر محا سن أي إنسان ميت هو رثاء ويستثنى من ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،فذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم حال حياته الجسدية أو بعد انتقاله بالموت إلى حياته البرزخية يسمى مدحا لا رثاء.**

**فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الممدوح حيّا وميّتا لأنه في موته صلى الله عليه وسلم له خصائص تفرد بها عن سائر البشر فهو صلى الله عليه وسلم يسمع من يصلي ويسلم عليه من البشروالحجر والنبات والجمادات والحيوانات .**

**فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :" ما من أحد يسلم عليَّ الا رد الله عز و جل إلي روحي حتى أرد عليه السلام "[2]**

**فقوله صلى الله عليه وسلم :" ما من أحدٍ" لم يقيدها بالبشر ، بل أظن أنها مطلقة وعامة غير مقيدة تعود على كل الكائنات ، ولما لا وقد قال الله:{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا }[النساء : 113] { وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}**

---

[1] السابق

[2] مسند الإمام أحمد ـ طبعة مؤسسة قرطبة - (2 / 527)

فعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن "[1]
وكل مادح من المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الصلاة والسلام عليه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمعه حيا بدليل ما ورد في الحديث الشريف ويرد عليه .
ومن المعلوم أن كل قول عمل (عمل باللسان ) ، وكلُّ عمل بسائر الجوارح الظاهرة والباطنة يراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدليل القرآني المصحفي حيثُ قال الله تعالى:
{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } [التوبة من الآية: 105]

غير أن رؤية النبي صلى الله عليه و سلم بالنسبة لرؤية الله محدودة وأنها من فضل الله العظيم عليه ،فرؤية النبي لكل عمل وسماعه لكل من يسلم عليه لا يخرجه من كونه صلى الله عليه و سلم عبد الله ورسوله ولكن فضل الله عليه صلى الله عليه و سلم عظيم.
لذا فمادحو النبي صلى الله عليه و سلم يمتازون عن غيرهم في صدق محبتهم له صلى الله عليه و سلم ، ويعتبرون هذا النشاط الأدبي عبادة لله وتقربا له بحبهم ومودتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وذلك لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،عن أنس بن مالك قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "[2]
وعليه فمدح سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم شكل من أشكال الحب.

- ومن المعلوم أن مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا يشابه ذلك المدح النفعي الدنيوي التكسبي الذي يتسم بالتملق والنفاق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوجهاء وشيوخ القبائل، وإنما هذا المدح حُبٌّ خالص خاص بأفضل الخلق سيدنا محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم) يتسم بالصدق والمحبة والإخلاص والتضحية والانغماس في بحر الحب والعشق المحمدي.

---

[1] مسند الإمام أحمد - طبعة مؤسسة قرطبة - (5 / 95
[2] صحيح مسلم- - (1 / 207)

ـ و حسبُنا في هذا المقام أن ننال شرَف الكلام عن  أفضل خلق الله طُرا سيِّد ولد آدَم ولا فخر، وخليل الرَّحمن ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خير مَن قُرِضت في حقِّه المدائح، وأَوْلَى مَن صدَح بالثناء عليه الصادح.[1]
والفخر لنا أمة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لا له ، لأنه أعلى مقاما من الفخر ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا فخر" يعني أن قوله هذا من باب التبليغ عن الله ،لامن باب التفاخر منه صلى الله عليه وسلم .

والفخر لنا أمة النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا له ، لأنه أعلى مقاما من الفخر ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا فخر" يعني أن قوله هذا من باب التبليغ عن الله ،لامن باب التفاخر منه صلى الله عليه وسلم ، فالله أمره من باب التبليغ أنه صلَّى الله عليه وسلَّم سيد ولد آدم.

عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا. وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال « قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق

[1] الشيخ عبد الله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية2009/11/1 م     شب

الجنـة فيفـتح الله لـى فيـدخلنيها ومعـى فقـراء المـؤمنين ولا فخـر وأنـا أكـرم الأولـين والآخرين ولا فخر "[1]

قال قال رسول الله صلى الله عليـه و سلم : ( أنـا سيد ولـد آدم ولا فخر . وأنـا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر . وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر . ولـواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر ) قال الشيخ الألباني : صحيح[2]

عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :" إنـي لأول النـاس تشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر آتي باب الجنـة فآخذ حلقته فيقول من هذا فأقول أنـا محمد فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار مستقبلي فاسجد لـه"[3]

فلمَّا أشرقتْ شمسُ نبوَّته - صلَّى الله عليه وسلَّم - على العرَب وهم على هذه الحـال، أبهر فُصحاءَهم وشـعراءَهم، بحسن أخلاقـه وعفَّتـه وأمانتـه، بل بديهتـه وفقط كانـتْ تأسِر القلوب والأفئدة ، قال عبدالله بن رواحة الأنصاري:

لو لم تَكُن فيه آيَةٌ مبيّنة لَكَانَتْ بَديهَتُه تَأْتِيكَ بِالخَبَرَ[4]

## فضل الشعر عند النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.[5]

---

[1] الجامع الصحيح (سنن الترمذي) - (13 / 197)

[2] السنن لأبن ماجه- طبعة دار الفكر - (2 / 1440)

[3] سنن النسائي الكبرى - طبعة دار الكتب العلمية - (4 / 401)

[4] لعبدالله بن رواحة الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم

[5] - الفاضل ـللمبرد (1 / 3)

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**"حدثني أبو الفضل العباس بن الفرج الرِّياشي قال: روى لنا أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحسن الشعر ويستنشده من أهله، ويُثيب عليه قائلَه. ثم يُروى أن شاعراً أنشده مدحاً في الله ومدحاً فيه، فأثابه على مدحه لله ولم يثبه على مدحه له.**

**وكان صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول طرَفة: ويأتيك من لم تزوّد بالأخبار. لأن الشعر لم يجرِ قط على لسانه الشريف.**

**وكان صلى الله عليه وسلم يستحسن:**

**ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ**

**وكان صلى الله عليه وسلم يقول: " إن من الشعر لحكمةً، وإن من البيان لسحراً " .**

**ويروى أنه قيل لحسان بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالُك لا ترَثي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لأني أستقل كل شيء يجيئني فيه.**

**وروى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب. وكان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر.**

**وسئل عن الزَّنيم، فقال: هو الدعيّ الملصّق، ألم تسمع إلى قول الشاعر:**

**زَنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً ... كما زيدَ في عرض الأديم الأكارع**

**وسئل عن قوله عز وجل: " والليلِ وما وَسق " . قال: وما جمع، ألم تسمع إلى قول الراجز:**

**إنّ لنا قَلائصاً حقائقا ... مُسْتَوسَقاتٍ لو يجِدن سائقا**

وكان يفسر قوله: " فإذا همْ بالساهِرة " . قال: بالأرض، ألم تسمع إلى قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

فذاك جزاءُ ما عملوا قديما ... وكلٌّ بعد ذلكُم يدومُ

وفيها لحمُ ساهرةٍ وبحر ... وما فاهوا به لهمُ مقيمُ

وتحدث عمر بن شَبّة قال: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ناس من الخوارج وابن الأزرق يسائلونه إذ أقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نُعم أنت غادٍ فمُبكِرُ ... غَداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى جاء على آخرها، فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: تالله يا بن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل عن أقاصي البلاد لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل علينا، ويأتيك مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أيْما إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَخزى وأمّا بالعشيّ فيخسرُ

فقال ابن عباس: ليس هكذا. قال: فكيف قال: فأنشده:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتُ ... فيضحى وأما بالعشيّ فيخصَرُ "

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب، قال العنبي: هو المدح بالباطل والكذب، أما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به. وقد مدح أبو طالب والعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسان وكعب وغيرهم، ولم يبلغنا أنه حثا في وجه مادح تراباً.

ومدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار. ومدح هو صلى الله عليه وسلم نفسه فقال: أنا سيد ولد آدم. وقال يوسف عليه: إني حفيظ عليم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أثنيت على الرجل بما فيه في وجهه لم تزكه.

وفي حثو التراب معنيان: أحدهما التغليظ في الرد عليه، وثانيهما ان يقال له: بفيك التراب.

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

ومن أحسن ما مُدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عبد الله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر[1]

فما كان مِن هؤلاءِ الشعراء إلا أن قَصَدوه صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدح والثناء، ومدحه والثناء عليه ليس كأي مدح وثناء؛ فقدْ تميَّز مدحُ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن مدح الممدوحين طرًّا بالصِّدق والإخلاص؛ إذ مدْحُ الملوك والعظماء وغيرهم كان غالبًا لنيل العَطاء، أو لدفْع البلاء! أما مدح النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلم يكُن إلاَّ محبَّة وصِدقًا.

## تتبُّع تاريخي لغرض المدائح النبوية:

وكان مِن أوَّل من مدح النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مِن شُعراء العرَب الأعشى على خلاف في ذلك مثنيًا على كرمه بقوله في مطلع قصيدته الدالية:

---

[1] ربيع الأبرار للزمخشري- (1 / 422)

أَلَم تَغتَمِض عَيناكَ لَيلَةَ أَرمَدا          وَعادَكَ ما عادَ السَليمَ المُسَهَّدا

كذلك النابغة الجعدي أنشأ قَصيدةً مَدَح فيها المصطفى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومنها قوله:

أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ إِذ جاءَ بالـهُدى          وَيَتلُو كِتابًا كالمجرَّةِ نَيِّرَا

وكذا مدَحه عمُّه أبو طالب قائلاً:

وَأَبيضَ يُسْتَسقَى الغَمامُ بِوجَهِه          ثُمالُ اليَتامَى عِصمةٌ للأَرامِلِ

وممَّا ذاعت شهرتُه وكثرت عنه الأنباء، وتَداوله بالشَّرْح والتفسير العلماءُ والأدباء، قصيدةُ كَعْب بن زهير في مدح سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وسلَّم ، التي كان من أمرها أن سمعها منه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبعدها كافأه بأن خلع بردته وألبسه إياها ؛ يقول في مطلعها[1]:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ     ***     مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا     ***     إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

ومنها قوله:

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني     ***     وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ     ***     ـقُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

وقوله:

مَا زِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعًا     ***     جُنْحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ

حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ     ***     فِي كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

---

[1] المجموعة النبهانيةج3ص6

إلى آخر ما قاله.

ومَع انبلاجِ نور الحقِّ وخوف أهلِ الباطِل مِن دحْر ظُلماتهم التي جثَمتْ على صدور الناس هب شعراء أهل الشك والضلال يَهجُون النبيَّ المختار - صلَّى الله عليه وسلَّم، فانبرَى له مِن أتباعه الأوفياء، وأنصاره الأتقياء، مَن يذود عنه بالعِرْض وباللِّسان، وعلى رأسهم الشاعِر الهُمام، والمنافح الضرغام حسان بن ثابت - رضي الله عنه - الذي لقب بشاعر الرسول؛ من كثرة ما قال في مدحه والدِّفاع عنه؛ يقول في همزيته الرائعة:

وَقالَ اللهُ قَد أَرسَلتُ عَبدًا *** يَقولُ الحَقَّ إِن نَفَعَ البَلاءُ

شَهِدتُ بِهِ وَقَومي صَدَّقوهُ *** فَقُلتُم ما نُجيبُ وَما نَشاءُ

أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي *** فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

هَجَوتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبتُ عَنهُ *** وَعِندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ *** فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

هَجَوتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا *** أَمينَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ

فَمَن يَهجو رَسولَ اللهِ مِنكُمْ *** وَيَمدَحُهُ وَيَنصُرُهُ سَواءُ[1]

إلى غير ذلك مما يطول المقام بذِكْره...

وظلَّ الشعراء في كلِّ عصرٍ ومِصر على هذا المنوال؛ يمدحون النبي المختار، ففي العصر الأُموي نرَى مِن أهمِّ شعراء المديح النبوي في هذا العصر الفَرزدق، ومِن قصائده الرائعة: الميمية التي نوَّه فيها بآل البيت، واستعرَض سموَّ أخلاق النبيِّ الكريم وفضائله؛ يقول في مطلعها:

[1] المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج1

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَه *** وَالبَيتُ يَعرِفه والحِلُّ والحَرَمُ

ثم يأتي الشريفُ الرضيُّ، الذي يذهب مذهبَ التصوف في مدْح الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وذكْر مناقب أهل البيت، خاصَّة أبناء فاطمة الذين رفعهم الشاعر إلى مرتبةٍ كبيرة مِن التقوى والمجد والسؤدد؛ يقول في داليته:

شَغَل الدُّموعَ عن الدِّيار بُكاؤُنا *** لبُكاءِ فَاطمةٍ على أَولادِها

ويقول أيضًا في مطلع لاميته الزهديَّة المشهورة:

رَاحِلٌ أنت واللَّيالِي نُزولٌ *** ومُضِرٌّ بِكَ البَقاءُ الطويلُ

وفي العصر العباسي يَجيء الشاعرُ مهيار الديلمي، الذي له عشرات القصائد في مدْح أهل البيت والإشادة بأوصافِ الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصفاته الحميدة التي لا تُضاهَى ولا تُحاكَى.

ومن الشعراء الصوفية الذين أكثروا من المدح الشاعر المصري -في العصر العباسي الثاني- الصوفي ابنُ الفارض؛ ومن ذلك جيميته التي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج *** أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

ويقول فيها:

فيه خَلَعْتُ عِذَاري واطَّرَحْتُ بِهِ *** قَبولَ نُسْكيَ والمقبولَ من حِججي

ويقول:

انْظُر إلى كبِدٍ ذابت عليكَ جَوًى *** ومُقْلَةٍ من نجيعِ الدّمع في لُجَجِ

وارحَمْ تَعَثُّرَ آمالي ومُرْتَجَعي *** إلى خِداعِ تَمَنّي الوَعْدِ بالفرَجِ

وغير ذلك كثير...

**إلى أن يأتي القرنُ السابع الهجري ويظهر أهمُّ الشعراء في هذا الميدان، وهو محمد بن سعيد البوصيري (608 - 696هـ)، فيُنشد كثيرًا مِن الأشعار في مدْح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم – فنراه في همزيته الشهيرة، التي بلغت 457 بيتا، يبسُط فيها حياةَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وسيرته ومعجزاته....، ومطلعها:**

**كَيفَ ترقَى رُقِيَّك الأَنبياءُ *** يا سَماءً ما طاوَلَتْها سماءُ**

**لَمْ يُساوُوك في عُلاكَ وَقَدْحا *** لَ سنًا مِنك دونَهم وسَناءُ**

**وفي ميميته الشهيرة بالبردة التي ذاعتْ في الآفاق، فحفظتْها الأجيالُ وشرحَها الشارحون، ونسَج على منوالها وعارَضها الشعراءُ والمادحون [1] ؛ يقول في مطلعِها:**

**أمِنْ تَذَكُّرِ جِيران بِذِي سَلَمٍ *** مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ**

**وقد عارض قصيدة (بانت سعاد) لكعْب بن زهير بقصيدةٍ مطلعُها:**

**إلَى متَى أنتَ باللَّذَّاتِ مَشغُولُ *** وَأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسؤُولُ**

**ثم جاءَ بعدَه شهابُ الدِّين المقَّرِي صاحِب "نفح الطيب" (992 1041 هـ) فأكْثَر مِن نظم الشعر - بل النثر أيضًا - في مدْح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتوسُّل به أيضًا! وكتاب "نفح الطيب" - وكذلك كتاب "أزهار الرياض" - مليءٌ بهذه القصائد التي يَرويها عن الشعراء، وفي أحايين كثيرة تكون هذه القصائدُ له هو، وهو الذي نظَمها؛ فإنَّ هذا معروف من طريقته في التأليف؛ فهو كاتب وشاعر جيد ويُضمِّن كلامه كثيرًا من الشعر، ومن الأمثلة على ذلك قوله عندما أطال في المقدمة من مدْح المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "وربما يقول مَن يقف على سرْد هذه الأمداح**

**1 أمثال ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية، وعبدالله الحموي مِن شعراء القرن التاسع، والبارودي وشوقي في العصر الحديث.**

**النبوية: إلى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان البديهية والروية؟ فأُنشده في الجواب، قول بعض مَن أَمَّ نهج الصواب:**

**لأديمنَّ مديحَ المصطفى *** فِعْل مَن في الله قوي طَمعُه**

**فعَسى أنْعَم في الدُّنيا به *** وعسى يَحشُرني الله مَعَه"(5(**

**وكما ذكرنا؛ فكتاب المقَّري هذا مليءٌ بالقصائد والموشَّحات في المديح النبويِّ لكثيرٍ مِن شعراء الأندلس وغيرهم، ولنذكر أمثلةً على ذلك، ومَن أن أراد أن يستزيد فدونه كتاب "نفح الطيب" وأزهار الرياض" للمقري، ودراسة محمَّد عبد الغني حسَن بعنوان "المقري صاحب نفح الطيب" فصل المديح النبوي (ص: 126 - 141:(**

**يقول المقري: "وما أحسن قول عالم الأندلس المالكي اللبيب، عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب:**

**لله درُّ عصابةٍ صاحبتها نحو المدينة تقطع الفَلواتِ**

**ومَهامهٍ قد جبتها ومفاوزٍ ما زلتُ أذكرها بطول حياتي**

**إلى أن يقول:**

**صَلَّى الإله على النبيِّ المصطفى هادي البرية كاشف الكُرباتِ**

**ويذكُر أيضًا قول كمال الدِّين ناظر قوص:**

**أنخ، هذه والحمد لله يثرب فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب**

**فعفر بهذا الترب وجهك، إنه أحق به من كل طيبٍ وأطيب**

**وقبِّل ربوعًا حولها قد تشرفت بمن جاورت، والشيء يحبب**

**وسكن فؤادًا لم يزل باشتياقه إليها على جمر الغضا يتقلَّب**

**وكَفْكِف دموعًا طالما قد سفحتها وبرد جوى نيرانه تتلهب**

**قول الرُّعيني الغِرْناطي:**

**هذه روضة الرسول فدَعْني أبذل الدمعَ في الصَّعيد السَّعيد**

**لا تلمني على انسكاب دُمو عي إنما صنتها لهذا الصعيد**

**ثم يعلق قائلاً: ولَمَّا سلمتُ على سيِّد الأنام ـ عليه مِن الله أفضلُ الصلاة وأزكى السلام ـ ذُبتُ حياءً وخجلاً؛ لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلاً، غير أني توسلتُ بجاهه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم! في أن أكون ممَّن وضح له وجه الصفح وجلاً:**

**إليك أفرُّ مِن زَلَلي فِرارَ الخائف الخَجِلِ**

**وكان مزارُ قبْرك بالـ مدينةِ له نفْسي بلا خَللِ**

**فخُذ بيدي غريقٍ في بِحار القول والعملِ**

**وهَبْ لي منك عارفة تعرَّفت ما تنكر لِي**

**وتهديني إلى رُشدي وتمنعني مِن الزللِ**

**وتحملني على سَنَنٍ يؤمِّني من الوجلِ**

**فأنت دليل مَن عميت عليه مسالك السبلِ**

**وإنك شافع بر وموئلنا من الوهل**

**إلى أن يقول:**

**على جدواك معتمدي فأَنقذني مِن الدَّخَلِ**

**وألحقني بجناتٍ لدَى دَرجاتِها الأُولِ**

**بصديقٍ وفاروقٍ وعثمان الرِّضَا وعلي**

**فأنت ملاذ معتصمٍ وأنت عِمادُ مُتَّكل**

عليك صلاة ربك جـ          لَّ في الغدوات والأصل" [1]

وغالب الظنِّ أنَّ هذا النظم الأخير للمقرِّي نفسَه، وما أعظم وأشنع ما فيه من غلو، وتوسل غير مشروع!

وشعر المقري في المدائح النبوية - من الناحية الفنية والأدبيَّة - كما يقول محمد عبد الغني حسن يتروح بين القوة والضعف، ويغلب عليه التقليد والمحاكاة ورص الألفاظ، أكثرَ ممَّا تغلب عليه الشعرية والطلاوة، والقوة وافتراع المعاني، كشعر حسان والبوصيري في بردته الميمية والهمزية، وشعر أحمد شوقي في نهج البردة، وله قصيدة جيدة الصياغة، حسَنة السبك، يقول فيها مطلعها:

ليس كلُّ القريضِ يَقْبَله السَّمْ          عُ وتُصغي لذِكره الأفهامُ

إنَّ بعضًا مِن القريض هُراءٌ          ليس شيئًا، وبعضُه أحكامُ

ومما تجدر الإشارة إليه: أنَّ شِعر المقري ومَن نقل عنهم لا يخلو مِن الغلو المنهي عنه والتوسُّل غير المشروع بذات النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وجاهه، كما رأينا عندَ البوصيري.

ومِن الشُّعراء الذين طرَقوا هذا الميدان ابن نباتة المصري؛ فقد ترَك لنا خمس قصائد في المديح النبوي، وهي: همزيته التي مطلعها:

شجون نحوَها العشَّاق فاؤوا          وصبٌّ ما له في الصبر راءُ

ورائيته التي مطلعها:

صَحا القلب لولا نسمةٌ تتخطَّر          ولمعة برق بالغضا تتسعَّر

وعينيته التي مطلعها:

---

[1] نفح الطيب" (1/ 46 – 48)

**يا دارَ جيرتنا بسَفْحِ الأجرعِ      ذَكرتْك أفواه الغيوثِ الهُمَّعِ**

**ولاميته التي مطلعها:**

**ما الطَّرْف بعدَكمُ بالنوم مكحولٌ      هذا وكمْ بيننا من رَبعكم مِيلُ**

**والميمية التي مطلعها:**

**أُوجز مديحك فالمقام عظيم      مِن دونه المنثور والمنظوم**

**وأيضًا من الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي مالك بن المرحَّل، يقول ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدةَ البوصيري الميمية [1]**

**شَوقٌ كما رفعت نار على عَلَمِ      تشبُّ بيْن فروع الضالِّ والسلمِ**

**ويقول في قصيدته الهمزيَّة مادحًا النبيَّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم:ـ**

**إلى المصطفى أهديت غر ثنائي      فيا طيب إهدائي وحسن هدائي[2]**

**أزاهير روض تُجتنَى لعطارة      وأسلاك در تُصْطَفَى لصفاء**

**والشاعِر السَّعْدي عبد العزيز الفشتالي، الذي يقول في إحدى قصائده الشعرية:**

**محمد خير العالمين بأَسْرها      وسيِّد أهل الأرض مِ الإنس والجان [3]**

**ومنهم القاضي عياض؛ فقد خلَّف مؤلِّفاتٍ عديدةً وقصائدَ أغلبها في مدْح الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والتشوق إلى الديار المقدَّسة كما في قصيدته الرائية[4]:**

**قِف بالرِّكابِ فهذا الرَّبْع والدار      لاحَتْ علينا مِن الأحباب أنوارُ**

---

**[1] لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1975م، ج3، ص:314-315.**

**[2] محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، دار الثقافة، البيضاء، الطبعة 1، 1982، ص:339-340.**

**[3] عبد العزيز الفشتالي: شعر عبد العزيز الفشتالي، جم ع ودراسة وتحقيق: نجاة المريني، ص:420-428.**

**[4] القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 166-168، رقم:744.**

**ومِن شعراء الأندلس الذين اهتمُّوا بالمديح النبوي، وذِكْر الأماكن المقدسة لسانُ الدين بن الخطيب؛ يقول في قصيدته الدالية:**

**تألق "نجديا" فاذكرني "نجدا" وهاج لي الشوق المبرح والوجدا[1]**

**وميض رأى برد الغمامة مغفلا فمد يدا بالتبر أعلمت البردا**

**وفي العصر الحديث نجِد في دواوين شُعراء البعث والإحياء أو ما يُسمَّى بشعراء التيار الكلاسيكي، أو الاتجاه التراثي مجموعةً مِن القصائد في مدح الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - تستند إلى المعارضة تارةً، أو إلى الإبداع والتجديد تارةً أخرى.**

**ومِن الشعراء الذين برَعوا في المديح النبوي نذكُر: محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، ومحمد الحلوي، وآخرين كثيرين.**

**فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية التي يقول فيها:**

**يا صارم اللحظ مَن أغراك بالمُهَجِ *** حتى فتَكَتْ بها ظلمًا بلا حَرجِ**

**ما زال يَخدَع نفْسي وهي لاهية *** حتى أصاب سوادَ القلب بالدَّعجِ**

**وهذه القصيدة معارضةٌ لقصيدة الشاعر المصري في العصرالعباسي الثاني الصوفي ابنِ الفارض التي مطلعها:**

**ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج**

**ومن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة 447، ومطلع القصيدة هو:**

**يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام على حي بذي سلم**

---

**[1] لسان الدين بن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: الدكتور محمد مفتاح، المجلد1، دار الثقافة، البيضاء، ط1، 1989، ص:346-350.**

**ومِن الشعراء الآخرين الذين نظَموا على منوال البردة: الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سمَّاها كذلك بـ"منهاج البردة"، ومطلعها:**

**يا غافرَ الذنبِ مِن جُودٍ ومِن كرم          وقابل التوب من جان ومجترم**

**ويحذو أحمدُ شوقي حذوَ البارودي في معارضة الشعراء القُدامَى في إبداع القصائد المدحية، التي تتعلق بذكر مناقب النبي وتَعداد معجزاته وصفاته المثلى، كما في همزيته الرائعة التي مَطلعُها:**

**وُلِد الهدى فالكائناتُ ضياءٌ          وفي فَم الزَّمان تبسُّم وثَناءُ**

**ويقول في مُولديته البائية:**

**سَلُوا قلبي غداةَ سَلا وتَابا          لعل على الجَمال له عِتابَا**

**ومِن أحسن قصائد أحمد شوقي في مدْح الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - قصيدته الميمية التي عارَض فيها قصيدةَ البردة للبوصيري، ومطلعها:**

**ريم على القاع بيْن البانِ والعَلم          أحلَّ سفك دمي في الأشهر الحُرمِ**

**ومِن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدَحوا النبَّي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق، الذي خصَّص كتابين لسيرة الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - تحت عنوان: "على النهج" يعارض فيهما شعراءَ المديح النبوي**

**ومِن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدَحوا النبَّي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق، الذي خصَّص كتابين لسيرة الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - تحت عنوان: "على النهج" يعارض فيهما شعراءَ المديح النبوي**

**! أما مدح النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فلم يكُن إلاَّ محبَّة وصِدقًا.**

**- ظهـور المديح النبوي[1]:**

**ظهر المديح النبوي في المشرق العربي مبكرا مع مولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)،وأذيع بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع ابن الفارض والشريف الرضي. ولكن هذا المديح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين وخاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري الذي عارضه كثير من الشعراء الذين جايلوه أو جاؤا بعده. ولاننسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين كان لهم باع كبير في المديح النبوي منذ الدولة المرينية.**

**وهناك اختلاف بين الباحثين حول نشأة المديح النبوي، فهناك من يقول بأنه إبداع شعري قديم ظهر في المشرق العربي مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة.**

**وهناك من يذهب إلى أن هذا المديح فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد[2]".**

**- تطور المديح النبوي في الشعر العربي القديم:**

**أول ما ظهر من شعر المديح النبوي ما قاله عبد المطلب [3]إبان ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا، يقول العباس بن عبد المطلب:**

**وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق**

---

[1] د جميل حمداوي – شبكة المعلومات الدولية

[2] * المديح النبوي منذ ميلاد النتي الكريم صلى الله عليه وسلم وعمه أبوطالب مدائح موثقة وننصح بالرحوع لمقدمة المجموعة النبهانية ودراستين للفقير لله بجامعة القاهة حول النتي عليه الصلاة والسلام

[3] د جميل حمداوي ،وقد جانبه الصواب فالبيتين للعباس بن عبدالمطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام

فنحن في ذلك الضياء وفـــي  النور وسبل الرشاد نختــرق

"واخرج البيهقي والطبراني في الاوسط وابن عساكر عن عائشة قالت قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لي جبرئيل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم اجد بني أب افضل من بني هاشم

وأخرج ابن عساكر عن ابي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة

وأخرج ابن مردويه عن انس قال قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح

وأخرج ابن ابي عمر العدني في مسنده عن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط

ويشهد لهذا ما أخرج الحاكم والطبراني عن خريم بن أوس قال هاجرت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي  مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر  أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد  ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم  إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نارا لخليل مستترا  في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من  خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الأرض  وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي  النور وسبل الرشاد تخترق

قال القاضي عياض:
"لا خلاف أنه أكرم البشر و سيد ولد آدم و أفضل الناس منزلة عند الله و أعلاهم درجة و اقربهم زلفى
و اعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا سورة الأحزاب / 33 ، الآية : 33 ]
و عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قالو : يا رسول الله متى و جبت لك النبوة ؟
قال : " و آدم بين الروح و الجسد "
و عن واثلة بن الأسقع قال : [ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم و إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة و اصطفى من بني كنانة قريشا و اصطفى من قريش بني هاشم و اصطفاني من بني هاشم
و من حديث أنس :" أنا أكرم ولد آدم على ربي و لا فخر "
و في حديث ابن عباس : " أنا أكرم الأولين و الأخرين و لا فخر "
و عن أم المؤمنين السيدةعائشة عنه عليه الصلاة السلام :" أتاني جبريل فقال : قلبت مشارق الأرض و مغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد و لم أر بني أب أفضل من بني هاشم

و عن ابن عباس عنه عليه السلام : [ لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض و جعلني في صلب نوح في السفينة و قذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط "
و إلى هذا أشار العباس بن المطلب رضي الله عنه بقوله :
( من ... قبلها طبت في الظلال و في مستودع حيث يخصف الورق )
( ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت و لا مضغة و لا علق )
( بل نطفة تركب السفين و قد ... ألجم نسرا و أهله الغرق )
( تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق )
في يعض النسخ أبيات أخر و هي قوله :
( حتى احتوى بيتك المهين من ... خندف علياء تحتها النطق )
( و أنت لما و لدت أشرقت ال ... أرض و ضاءت بنورك الأفق )
( فنحن في ذلك الضياء و في الن ... ور و سبل الرشاد نخترق )

( يا برد نار الخليل يا سببا ... لعصمة النار و هي تحترق )" [1]

**- شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي[2]:**

**إذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سباقين إلى الاحتفال بمولد النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) ونظم الكثير من القصائد في مدح الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) وتعداد مناقبه الفاضلة وذكر صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية الشريفة وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. و كان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيع وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف، وبعد ذلك يصف الشعراء المطية ورحال المواكب الذاهبة لزيارة مقام النبي الزكي، وينتقل الشعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدسة ومدح النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة طالبين من الحبيب الكريم الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النبوية بالدعاء والتصلية.**

**ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر مالك بن المرحل كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية :**

**شوق كما رفعت نار على علم    تشب بين فروع الضال والسلم**

**ويقول في قصيدته الهمزية مادحا النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) :**

**إلى المصطفى أهديت غر ثنائي    فيا طيب إهدائي وحسن هدائي**

---

1 الشفا بتعريف حقوق المصطفى - (1 / 131)

2 د جميل حمداوي ، شبكة المعلومات الدولية

**أزاهيـر روض تجتنـى لعطـــارة وأسـلاك در تصـــطفى لصـفاء**

**ونذكر إلى جانب عبد المالك بن المرحل الشاعر السعدي عبد العزيز الفشتالي الـــذي يقـــول فـــي إحـــدى قصـــائده الشـــعرية:**

**محمـد خيـر العالميـــن بأســرها وسـيد أهـل الأرض م الإنـس والجـان**

**أما القاضي عياض فقد خلف مؤلفات عديدة وقصائد أغلبها في مدح الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) والتشوق إلى الديار المقدسة كما في قصيدته الرائية :**

**قـف بالركـاب فهـذا الربـع والـدار لاحـــت علينـــا مـن الأحبـاب أنـوار**

**ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي وذكر الأماكن المقدسة لسان الـــدين بـــن الخطيـــب الـــذي يقـــول فـــي قصـــيدته الداليـــة:**

**تـألق " نجـديا" فـاذكرني " نجـدا "وهـاج لـي الشـوق المبـرح والوجـدا**

**ومـيض رأى بـرد الغمامـة مغفـلا فمـد يـدا بالتبـــــر أعلمـت البـردا**

**- المــــديح النبــــوي فــــي العصــــر الحــــديث:**

**من يتأمل دواوين شعراء خطاب البعث والإحياء أو ما يسمى بشعراء التيار الكلاسيكي أو الاتجاه التراثي فإنه سيلفي مجموعة من القصائد في مدح الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) تستند إلى المعارضة تارة أو إلى الإبداع والتجديد تارة أخرى. ومن الشعراء الذين برعوا في المديح النبوي نذكر: محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد الحلوي وآخرين كثيـــــــــــرين...**

**فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية التي يقول فيها:**

**يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج حتى فتكت بها ظلما بلا حرج**

**مازال يخدع نفسي وهي لاهية حتى أصاب سواد القلب بالدعج**

**طرف لو أن الظبا كانت كلحظته يوم الكريهة ما أبقت على الودج**

**وهذه القصيدة هي في الحقيقة معارضة لقصيدة الشاعر المصري في العصرالعباسي الثاني الصوفي ابن الفارض[1] التي مطلعها:**

**ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج**

**ومن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته" كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة 447 ، ومطلع القصيدة هو:**

**يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام على حي بذي سلم**

**ومن الشعراء الآخرين الذين نظموا على منوال البردة الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سماها كذلك بـ" منهاج البردة" ومطلعها:**

---

[1] الأعلام للزركلي - (5 / 55)
ابن الفارض
(576 - 632 هـ = 1181 - 1235 م)
عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الاصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى " وحدة الوجود " قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر، فكسنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. وولد له " عمر " فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شب اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في واد بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره. وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاما، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلا نبيلا، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سلس القياد، سخيا جوادا. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في " الروضة " يعرف بالمشتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء. وكان يعشق مطلق الجمال. ونقل المناوي عن القوصي أنه كانت للشيخ جوار بالبهنسا، يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، قال المناوي: " ولكل قوم مشرب، ولكل مطلب، وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق " ثم قال: " واختلف في شأنه، كشأن ابن عربي، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار، من الكفر إلى القطبانية، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية " وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره وشيخ " الاتحادية " وماثم الازي الصوفية وإشارات مجملة،

يـا غـافر الـذنب مـن جـود ومـن كـرم وقابـل التـوب مـن جـان ومجتـرم

ويحذو أحمد شوقي حذو البارودي في معارضة الشعراء القدامى في إبداع القصائد المدحية التي تتعلق بذكر مناقب النبي وتعداد معجزاته وصفاته المثلى كما في همزيته الرائعة التي مطلعها:

ولـد الهـدى فالكائنـات ضيـاء وفـي فـم الزمـان تبسـم وثنـاء

ويقول في مولديته البائية:

سـلوا قلبـي غـداة سـلا وتـابا لعـل علـى الجبـال لـه عتابـا

ومن أحسن قصائد أحمد شوقي في مدح الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) قصيدته الميمية التي عارض فيها قصيدة البردة للبوصيري ومطلع قصيدة شوقي هو:

ريـم علـى القـاع بـين البـان والعلـم أحـل سفك دمـي فـي الأشـهر الحـرم

ومن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدحوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق[1] الذي خصص كتابين لسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت عنوان: " على النهج" يعارض فيهما شعراء المديح النبوي . ومن القصائد التي نظمها في المدح نذكر القصائد التالية:

1- قصيدة " بانت سعاد" التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير:

بانــت ســعاد فمــا للحــزن تمهيــل الــدمع منسـجل والجسـم مهـزول

[1] د جميل حمداوي –شبكو المعلومات الدولية بتصرف

-2قصـيدة" البـردة يـا شـاكي البـان" يعـارض فيهـا قصـيدة البوصـيري:

ياشـاكي البـان كـم فـي البـين مـن سـقم؟ شـكواك تنسـاب لحنـا دافـق الألـم

-3قصيدة"المرتجية" كما في مطلع قصيدته الجيمية التي يعارض فيها القصيدة "المنفرجة" لابن النحوي:

إن ضـاق الأمـر فـلا تهـج فغـدا قـد يأتـي بالفـرج

-4قصيدة " في رحاب المدينة" التي عارض فيها قصيدة الهمزية للبوصيري:

هاتهـا، مـا للـنفس عنهـا غنـاء جـابني الشـوق حـين عـز الـدواء
-5قصيدة " السينية في مدح خير البرية"، التي عارض فيها الشاعر سينية البحتري، ومطلع القصيدة هو:

يجهـر البـين مـا تخفـى بنفسـي فسـقاني كـأس الشـجا بعـد كـأس

-6قصـيدة" كـل مـديح فيـه مختصـر" وهـي رائيـة الـروي ومطلعهـا:

رأيـت كـل مـديح فيـه مختصـرا فمـا تعـد سـجاياه وتختصـر

-7قصـيدة"الدالية فـي الـرد علـى مـن أسـاء إلـى الرسـول برسـوماته الكاريكاتوريـة" عـارض فيهـا داليـة أبـي العـلاء المعـري ومطلعهـا:

أما أعنى الذي رسموا الفؤادا فما للصمت يلزمني الحيادا.

7من خصائص المديح النبوي مضمونا:

يتميز المديح النبوي بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى زيارة قبر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.

**-8خصائص المديح النبوي شكلا:**

تستند أغلب قصائد المديح النبوي إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية واعتماد التصريع والتقفية في المطلع الأول من القصيدة.

وتتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري وقصائد ابن الفارض وقصيدة كعب بن زهير وغيرها. وهذه المعارضة تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية. ومن ثم، فالقصيدة النبوية تتكون على مستوى البناء من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة. وهذا ما أفقد المديح النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية على الرغم من وجود الاتساق اللغوي على مستوى السطح الظاهري والانسجام على مستوى العمق الدلالي.

وفيما يخص الإيقاع الخارجي، تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة كالمديح النبوي والتصوف الروحاني والتشيع لآل البيت، لذلك يستعمل شعراء المديح النبوي البحر الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف. ويعد البحر البسيط من أهم البحور المفضلة لدى شعراء المديح النبوي ولدى شعراء المعارضة. ومن المعلوم أن البردة التي نظمها الشاعر البوصيري كانت على البحر البسيط، لذلك

أصبحت هذه القصيدة نموذجا يقتدى به في الشعر العربي الحديث من قبل شعراء المديح النبوي موضوعا وإيقاعا وصياغة.

ومن أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم. وهي قوافي صالحة وطيعة لرصد التجربة الشعرية المولدية أو النبوية أو الصوفية الروحانية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا.

وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة. وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقي والنفسي والدلالي للقصائد المدحية.

وتمتح اللغة الشعرية ألفاظها المعجمية في قصيدة المديح النبوي من حقل الدين وحقل الذات وحقل العاطفة وحقل الطبيعة وحقل المكان وحقل التصوف. كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة وفخامة الكلمات وقوة السبك ورصانة الصياغة وهيمنة المعجم التراثي و غلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة. لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي على هذا الشعر الديني كتابة وتعبيرا وصياغة.

ويستخدم هذا الشاعر المادح لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركية والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية قصد خلق الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية. وغالبا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات الأسلوب الخبري، بينما يفترض تدخل الذات وإظهار المشاعر والانطباعات الانتقال من أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفية.

ويشغل شعر المديح النبوي الصور الشعرية الحسية القائمة على المشابهة من خلال استخدام التشبيه والاستعارة، والاستعانة بالصورة المجاورة عبر المزج بين المجاز المرسل والكناية الإحالية في التصوير والبيان. ويمكن أن تتخذ الصور البلاغية ذات النطاق الحسي طابعا رمزيا خاصة في المقاطع الصوفية العرفانية.

**ويتراوح البديع في المديح النبوي بين العفوية المطبوعة والتصنع الزخرفي في القصائد المدحية البديعية التي نظمت في العصور المتأخرة كما عند ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية.**

**وينتقل الشاعر تداوليا في قصائده المدحية من ضمير المتكلم الدال على انفعالية الذات والانسياق وراء المناجاة الربانية والاستعطاف الذاتي إلى ضمير المخاطب أو الغياب للتركيز على الممدوح وصفا وإشادة وتعظيما[1].**

[1] السابق بتصرف

## مدائح نبوية لشعراء مسيحين :

أمحمد والمجد بعض صفاته  مجدت فى تعليمك الأديانا

إنى مسيحى أحب محمدا  وأراه فى فلك العلا عنوانا

إنى مسيحى أحب محمداً[1]

فى الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم، تبارى الكثير من الشعراء المسلمين فى نظم قصائد تعبر عن فيض مشاعرهم الجياشة التى غمرهم بها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه وعلى نفس الدرب مضى شعراء مسيحيون من الشرق والغرب ملقين فى ساحة المدح النبوى أبياتاً لا تقل محبة وصدقاً عن أقرانهم من المسلمين.

ولم يكن الدافع الذى جعل الشعراء المسيحيين يمتدحون رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، الظفر بأى عطاءات مادية أو مكاسب دنيوية، فقد تجردوا من أى ميول أو تعصبات دينية، وتدثروا بشعار «الإنسان أخو الإنسان» أياً كان دينه أو لونه أو موطنه.. ففاضت من كلماتهم عطايا الحب.. مهدين الإنسانية جمعاء ميراثاً أدبياً زاخراً بالسلام والمحبة والسماحة.

موروث مشترك

يرجع بعض النقاد الأسباب التى أدت بالشعراء المسيحيين العرب، إلى نظم قصائد يمتدحون فيها رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، إلى أنهم يهدفون إلى إبراز القيمة الإيجابية للموروث الثقافى والوطنى والتاريخى المشترك منذ مئات السنين، الذى يربط المسلمين بالمسيحيين فوق أرض العروبة، ومن جانب آخر، فإن إغلاق أبواب عبثية الاستقطاب الطائفى الذى يعمل البعض جاهداً لإيقاع قطبى الأمة فيه، كان دافعاً قوياً لنظم هذه القصائد، والجانب الثالث وهو الأهم، أنهم سعوا للتعبير

---

[1] شبكة المعلومات –الانترنت-

عن مشاعر جياشة وقعت فى صدورهم تجاه رسول الإسلام، وأرداوا الإفصاح عنها كمواطنين عرب بعيداً عن أى انتماءات دينية.

الكاتب ماجد الحكواتى جمع، فى كتابين، مجموعة كبيرة من القصائد والنصوص الشعرية التى ألقاها شعراء مسيحيون فى ساحة المدح النبوى، يحمل الكتاب الأول عنوان «شعراء النصارى العرب والإسلام»، أما الكتاب الثانى فقد جمعت فيه قصائد أخرى لشعراء مسيحيين مصحوبة بدراسات نقدية أعدها وقدمها محمد عبدالشافى القوصى، تحت عنوان «محمد فى شعر النصارى العرب».

والهدف من وراء مؤلفى «الحكواتى» - كما عبر المؤلف - هو إبراز هذا اللون من الإبداع الشعرى الذى اختفى وكاد يندثر، رغم أن القارئ يستشف من حروفه تسامحاً وترابطاً جمع بين المسلمين والمسيحيين فى بلاد الشرق، الذين يركنون إلى مرجعية ثقافية واحدة أسس بنيانها على احترام كل طرف للآخر، وإعلاء قيم التعايش المشترك بعيداً عن اختلاف الدين والعقيدة.

وترسم لنا القصائد الشعرية التى ورد ذكرها فى الكتابين، صورة واضحة للتسامح والسلام الذى عاشه المسلمون والمسيحيون فى هذه الفترة، وإن كان معظم الشعراء المسيحيين الذين وضعت قصائدهم فى الكتابين، ينتمون إلى سوريا ولبنان، وأنهم من شعراء العصر الحديث، إلا أن هذا لم يمنع البعض من تعميم الصورة على شتى أنحاء الوطن العربى.

كما ألقى الكاتب محمد عبدالشافى القوصى، فى الفصل الأخير من كتابه «محمد مشتهى الأمم»، الذى جاء بعنوان «فى عالم الجمال»، الضوء على 20 شاعراً مسيحياً، مدحوا رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، بقصائد ومطولات شعرية مثل: حليم دموس، والشاعر القروى، وخليل مطران، وإلياس قنصل، وشبلى شميل، وعبدالله يوركى حلاق، وجاك صبرى شماس، وإلياس فرحات، وجورج صيدح، ورياض المعلوف، وشبلى ملاط، وجورج سلسلمى، وميخائيل ويردى، الذى مدح الرسول بعدة قصائد أشهرها القصيدة التى عارض فيها نهج البردة لأمير الشعراء شوقى.

نبع مملوء بالحب

وبحسب دراسة أعدها الدكتور خالد فهمى، أستاذ النقد والأدب بجامعة المنوفية، ونشرت فى مجلة الأزهر فى عام 2012، فإن مدح الشعراء المسيحيين للنبى محمد صلى الله عليه وسلم، لم يكن فيه أى تملق أو مداهنة، فقد خرجت كلماتهم من نبع مملوء بالحب الخالص والمجرد من أى أهداف سوى نشر المحبة والسلام، وتزكية روح التسامح بين جميع البشر بعيداً عن انتماءاتهم الدينية أو العرقية، واللافت للنظر - والكلام لـ«فهمى» - أن مدح المسيحيين بشكل خاص للنبى الكريم، خرج من مديح إيمانى مغلق يختص بالمسلمين إلى آفاق رمزية عالمية برعوا فيها؛ حيث أكدوا أن نبى الإسلام مصلح وقائد ورمز عالمى.

وأشار خالد جودة، الباحث فى تاريخ المدائح النبوية، إلى أن «المسيحيين هم أبناء الحضارة العربية الإسلامية، وقالوا أشعارهم فى مدح رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، من هذا المنظور الحضارى»، مؤكداً أنه أعد بحثاً فى عام 2004، عن المدائح والسمات النبوية فى مجموعة من القصائد الشعرية القديمة والحديثة التى ألقاها شعراء مسيحيون فى هذا الجانب، قائلاً: «وضح لى أن العصر الحديث خرج بالمديح النبوى من كونه ينصب على مدح النبى صلى الله عليه وسلم، بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق له ولمبادئه والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، إلى البحث عنه كمنقذ لحل مشكلات العالم وطريق علاج لها».

حديث من القلب

وبالغوص فى أعماق الشعراء المسيحيين الذين مدحوا المصطفى صلى الله عليه وسلم، نجدهم يؤكدون أن قصائدهم خرجت من القلب وتهدف لخدمة «العروبة»، الوطن الواحد الذى يستظل بسمائه الجميع، فهذا الشاعر السورى جاك شماس، المولود فى عام 1947 ميلادية، يجيب عن سؤال طرحه على نفسه قبل أن يطلع عليه العامة: لماذا أتحدث عن رسول الإسلام محمد؟، وبيقين راسخ يجيب «شماس»، قائلاً: «إنه حديث من شغاف القلب.. لا يأخذ منحنى آخر سوى خدمة وطنى وعروبتى».

وفى معرض حديثه عن قصيدته «خاتم الرسل» التى تقدم بها فى عام 2010، لمسابقة «البردة النبوية» التى تنظمها وزارة الثقافة الإماراتية، يقول «شماس»: «أنا ثقافتى عربية إسلامية، وإذا مدحت رسول الإسلام محمداً، فذلك لأنى أحبه»، متسائلاً: «كيف لا أحب إنساناً بهذا المستوى النبيل من الإنسانية والخلق؟، وأضاف:

**«لقد نشر محمد، عقيدة جميلة ونبيلة تدعو إلى الإنسانية، وثقافتنا العربيـة الإسلامية تدفعنا إلى حب هذا النموذج الرائع، ولقد كتبت هذه القصيدة لأعبر بهـا عن حبى لـهذا الرجل ولم يكن هدفى أبداً نيل جائزة المسابقة، والدليل على ذلك أنى كتبت أبياتـها قبـل الإعلان عن موعد أو شروط هذه المسابقة بزمن بعيد».**

**ونلمس صدق مشاعر «شماس»، حين نقرأ أبياته التى تنم عن ثناء فائق الإبداع ألقى به فى ساحة المدح النبوى قائلا:[1]**

**يممت طه المرسل الروحانى ويجل طه الشاعـر النصرانـى**

**ماذا أسطر فـى نبـوغ محمـد**

**أنـا يا محمد من سلالـة يعـرب أهـواك ديـن محـبـة وتـفـان**

**وأذود عنـك مولـهـاً ومتيـمـاً حتى ولو أجـزى بقطـع لسانـى**

**أكبرت شأوك فى فصيـح بلاغتـى وشغاف قلبـى مهجتـى وبيانـى**

**وأرتل الأشعار فـى شمـم النـدى دين تجلى فـى شـذى الغفـران**

**وتسامـح يزهـو ببـرد فضيلـة وشمائـل تشـدو بسيـب أغـان**

**أغدقت للعرب النصـارى عزة ومكانـة ترقـى لـشم مـعـان**

**وزرعت فى قلب الرعيـة حكمـة شماء تنطق فـى نـدى الوجـدان**

**أودعت يمنك فى حدائـق مقلتـى ووشمت مجدك فى شغاف جنـان**

**ونذرت روحـى للعروبـة هائمـاً بالضـاد والإنجـيـل والـقـرآن**

**ونقشت خلق محمد بمشاعـرى ودرجت أرشف كوثـر الرحمـن**

**وشتلت فى دوح التآخـى أحرفـ أختال زهـواً فـى بنـى قحطـان**

**آخيت فاطمة العروبة فى دمـى وعفاف مريم فى فـؤاد كيانـى**

---

[1] الشاعر السورى جاك شماس، المولود فى عام 1947 ميلادية

ولئـن تغطـرس أجنبـى حاقـد  كفقاعة الصابـون فـى الفنجـان

وإذا قرأتـم للـرسـول تحـيـة  فلتقـرءوه تحـيـة النصـرانـى

مهما مدحتـك يا رسـول فإنكـم  فوق المديح وفـوق كـل بيانـى

واللافت للنظر أنـه فـى نفس عـام 2010، الـذى نظمت فيـه مسابقة «البـردة النبويـة» بدولة الإمارات، فإن الشاعر المسيحى المصرى سعد جرجس، فاز بجائزة خاصـة من لجنة التحكيم، بعد أن حازت القصيدة التى نظمها كواحدة من أفضل القصائد التى قيلت فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويسـهب الشـاعر السـورى إليـاس قنصـل، الـذى عـاش بـين عـامى 1914 و1981 ميلادية، فى أبياته متحدثاً عن صفات نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، قائلا:

يقابل بالصبر الجميل ضغائنا   تمادى بها وعد بسب ويثلب

ويعفو عن الأسرى وكان  وعيدهم بما فى نواياهم من الثأر يلهب

إذا جاءه الملهوف فهو لـه  أخ وإن جاءه المحروم فهو لـه أب

صفات نبى أحسن الله خلقه  نفوس الورى من رفدها تتهذب[1]

مشاعر جياشة

وعلـى الـدرب ذاتـه، يسير الشـاعر السـورى جـورج سلسـتى، الـذى عـاش بـين عـامى 1909 و1968 ميلادية، لينظم قصيدة اسماها «نجوى الرسول الأعظم»، أفـاض فيـها بمشاعره الجياشة التى تملكت قلبه تجاه رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم:[2]

أقبلت كالفجر وضاح الأسارير  يفيض وجهك بالنعماء والنور

على جبينك فجر الحق منبلج  وفى يديك مقاليد المقادير

أطلعت من هامت الدنيا بطلعته  ونافست فيه حتى موئل الحور

أطلعت أكرم خلق الله كلهم وخاتم الرسل الصيد المغاوير

---

[1] شبكة المعلومات الدولية

[2] السابق

بوركت أرضاً تبث الطهر تربتها  كالطيب بثته أفواه القوارير

الدين ما زال يزكو فى مرابعها  والنبل ما انفك فيها جد موفور

فذاك افتخاراً على الأكوان قاطبة  بما حبوت الورى يا بيد من نور

يا سيدى يا رسول الله معذرةً  إذا كبا فيك تبيانى وتعبيرى

ماذا أوفيك من حقٍ وتكرمةٍ وأنت تعلو مدى ظنى وتقديرى

واكلا - عليك صلاة الله – أمتنا  حياك ربك حتى نفخة الصور

ولم يخش الشاعر السورى وصفى قرنفلى، الذى عاش بين عامى 1911 و1978 ميلادية، توجيه نقد له، أو أن تثار ضده حرب تطال كل شىء فى حياته حين وصف محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، بـ«منقذ الشرق»، فى أبياته التى عبرت حروفها عن شهادة حق قالها مواطن عربى فى حق رسول الإسلام: -

أو ليس الرسول منقذ هذا الشرق  من ظلمة الهوى والهوان[1]

أفكنا لولا الرسول سوى  العبدان بئست معيشة العبدان

وما زلنا فى دمشق نتريض فى بساتين المحبة الإنسانية، التى أهداها لنا الشاعر جورج صيدح، الذى عاش بين عامى 1893 و1978 ميلادية، مطالبين معه باقى أفراد أمتنا العربية بأن يكون لهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسوة حسنة حتى نخرج من غياهب التردى الذى أدخلنا فيه أنفسنا:[2]

يا صاحبى بأى آلاء النبى تكذبان؟

يا من سريت على البراق وجزت أشواط العنان

آن الأوان لأن تجدد ليلة المعراج آن

---

[1] السابق

[2] السابق

ويـدخل الشـاعر السـكندرى السـورى الأصـل ميشـال مغربـى، ميـدان المـديح النبـوى، مـهدياً رسول الإسلام محمد بن عبدالله صـلى الله عليـه وسـلم، أبيـات رائعـة فـى ذكـرى الاحتفال بمولده:[1]

لا عيد للعرب إلا وهو سيده

ما دارت الأرض حول الشمس دورتـها

هى العروبة لا ينـهد حائطها

يا صاحب العيد يا من فى موالده

إن كان للغرب عرفان وفلسفة

وإذا ما ذهبنا إلى لبنان، فسيشنف آذاننا الشاعر إلياس فرحات، الذى عاش بين عامى 1893 و1976 ميلاديـة، بأبيـات يخاطـب فيهـا رسـول الإسـلام محمـد صـلى الله عليـه وسلم، وكأنـه يشكو لـه فيها مـا ألـم بالأمـة العربيـة مـن تخبط وتخلـف عن بـاقى الأمـم، ويطلب منه مدداً يخرجنا مما نحن فيه، قائلاً:

يا رسول الله إنا أمة زجها التضليل فى أعمق هوة

ذلك الجهل الذى حاربته لم يزل يظهر للشرق عتوه

وما زالت نسائم عشق الشعراء المسيحيين اللبنـانين لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، تنعشنا؛ حيث نرقـى مـع الشـاعر اللبنـانى حليم دمـوس، المتوفـى فـى عـام 1957 ميلادية، إلى أعلى درجات المحبة الإنسانية المجردة من أى ميول، حين يمتدح النبى الكريم قائلاً:

أمحمد والمجد بعض صفاته  مجدت فى تعليمك الأديانا

إنى مسيحى أحب محمدا  وأراه فى فلك العلا عنوانا

نسائم العطر

---

[1] السابق

وتأبى خطانا أن تغادر لبنان، دون أن نذوب فى نسائم العطر الشذى الذى تهديه لنا أبيات شاعر القطرين اللبنانى خليل مطران، الذى عاش بين عامى 1872 و1949 ميلادية، التى نستشف منها أثر رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فى محاربة الجهل والشرك وإقامة العدل والإحسان إلى أهل الكتاب؛ حيث يقول:

بأى حلم مبيد الجهل عن ثقة  وأى عزم مذل القادة الصيد

أعاد ذاك الفتى الأمى أمنه  شملا جميعا من الغر الأماجيد

وزاد فى الأرض تمهيدا لدعوته  بعهده للمسيحيين واليهود

أما الشاعر اللبنانى محبوب الخورى الشرتونى، الذى عاش بين عامى 1885 و1931 ميلادية، فيرقى بنا فى قصيدته «عرب الحجاز.. تحية وسلام»، داحراً الفتن التى يحاول البعض دسها بين المسلمين والمسيحيين، معلناً للجميع أن العرب جميعاً أهل وأشقاء دون النظر إلى الديانة، ومطفئاً جزوة الصراع الطائفى الذى يسعى البعض لإبقائه مشتعلاً:

قالوا تحب العرب.. قلت أحبهم  يقضى الجوار علىَّ والأرحام

قالوا لقد بخلوا عليك.. أجبتهم  أهلى وإن بخلوا علىَّ كرام

قالوا الديانة.. قلت جيل زائل  ويزول معه حزازة وخصام

ومحمد بطل البرية كلها  هو للعرب أجمعين إمام

ويصف الشاعر اللبنانى رشيد خورى، المعروف بـ«الشاعر القروى» الذى عاش بين عامى 1887 و1984 ميلادية، مولد رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، بـ«عيد البرية»، ناظماً فى هذا الجانب قصيدة حملت نفس العنوان، قال فيها:

عيد البرية عيد المولد النبوى  فى المشرقين له والمغربين دوى

عيد النبى ابن عبدالله من طلعت  شمس الهداية من قرآنه العلوى

يا قوم هذا مسيحى يذكركم  لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوى

فإن ذكرتم رسول الله تكرمة  فبلغوه سلام الشاعر القروى

أما الشاعر اللبناني شبلي شميل، الذي عاش بين عامي 1853 و1917 ميلادية، وعرف بنبوغه في الشعر والفلسفة، فقد رحل بحروفه ممتدحاً عظمة رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، معلناً إعجابه بفصاحة القرآن حتى ولو كان مسيحيا لا يدين بالإسلام:

إني وإن أك قد كفرت بدينه  هل أكفرن بمحكم الآيات؟

نعم المدبر والحكيم وإنه  رب الفصاحة ومصطفى الكلمات

وما دمنا في لبنان فلا يعقل أن نغفل تلك الأبيات التي نظمها واحد من أبرز شعراء النصف الأول من القرن العشرين، وهو الشاعر الكبير شبلي الملاط، المعروف بـ«شاعر الأرز»، الذي عاش بين عامي 1878 و1961 ميلادية، ويقول فيها:

من للزمان بمثل فضل محمد

رفع الرسول عماد أُمة يعرب

وأعزها بالأهل والأصحاب

وهذا الشاعر يوسف البقاعين، الذي تعود جذور عائلته إلى منطقة البقاع، يؤكد أن مسيحيته لا تمنعه من القيام بواجبه في معرض إحياء ذكرى مولد النبي العربي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ناظماً في هذا الجانب قصيدة أسماها «أمة التوحيد» نذكر منها:

عاش ابن عبدالله في كل الورى

أحيا بمولده الشعوب فردهم

يا هاديا نهج السبيل وهاجرا

يا مشعلا فوق المآذن عاليا

ولقد نبذت الشرك في طرق الردى

هذا كتاب الله فيما بيننا

## معارضة البردة:

**لم يكتفِ الشعراء المسيحيون بنظم أبيات يمدحون فيها رسول الإسلام سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فقط، وإنما تجاوزوا تلك المرحلة ليعارض الشاعر السورى ميخائيل خير الله ويردى، المتوفى فى عام 1945 ميلادية، قصيدة «نهج البردة» لأمير الشعراء أحمد شوقي، مهدياً للإنسانية بكل انتماءاتها الدينية جملة أبيات أقل ما توصف به أنها بالغة الرقة والجمال:**

**أنوار هادى الورى فى كعبة الحرم فاضت على ذكر جيرانٍ بذى سلم**

**يا أيها المصطفى الميمون طالعه قد أطلع الله منك النور للظّلم**

**صلى الإله على ذكراك ممتدحاً حتى تؤم صلاة البعث بالأمم**

## رحلة مع شعراء الغرب:

**وإذا ما رحلنا إلى بلاد الغرب ستطالع أعيننا وتسمع آذاننا كلمات ليست أقل جمالاً وأروع رقة، سطرها شعراء وأدباء الغرب المسيحيون فى حق رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الشاعر الفرنسى الشهير «لا مارتين»، ويصف دراسته لحياة رسول الإسلام محمد بن عبدالله بأنها: «أعظم حدث فى حياتى هو أننى درست حياة رسو ل الإسلام محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.. إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذى أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التى تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق».**

**ويعتبر الشاعر الروسى الشهير «بوشكين»، أن حادثة شق صدر رسول الإسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وهو صغير فى بادية بنى سعد، بداية النور الذى بدد ظلمات القلوب، حين يقول: «شق الصدر، ونزع منه القلب، وغسلته الملائكة، ثم أُثبت مكانه.. قم أيها النبى وطف العالم، وأشعل النور فى قلوب الناس"[1]**

[1] شيكة المعلومات الدولية أ محمد أبو العيون

# نـور النبـي ــ صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ـ فـي المدائح النبويـة

"لقد مُدح النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حياته بما يشيرإلى كونه نوراً[1]، وأن هناك اسبقية له قبل الظهور الجسدي وهو ما يُسمي عند الصُّوفية بالحقيقة المُحَمَّدِية وسيشير الباحث إلى تلك الأشعار التي قيلت في حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبُعيد وفاته وبعد ذلك إلى فترة القرن السّابع الهجري وذلك لبيان هل كانت هناك إرهاصات تشيرإلى الحقيقة المُحَمَّدِية والتي لبُّها ومحورها كونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نور أم لا؟

بدايةً الشعر غير مرفوض في الإسلام،.

الشِّعْرُ نَوْعٌ مِنْ الْكَلَامِ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ : حَسنة كَحَسَنِ الْكَلَامِ ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِهِ يَعْنِي أَنَّ الشِّعْرَ لَيْسَ يُكْرَهُ لِذَاتِهِ ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ لِمُتَضَمَّنَاتِهِ .

وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ عَظِيمَ الْمَوْقِعِ حَتَّى قَالَ الْأَوَّلُ مِنْهُمْ : وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الِيدِ .(امريء القيس)

وَقَالَ النَّبِيّ- صلى الله عليه وآله وسلم - فِي الشِّعْرِ الَّذِي كَانَ يُرَدُّ بِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ :"إنَّهُ لَأَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ النَّبْلِ " .

وَقَدْ أَخْبَرَنَا- الكلام لأبي بكر مُحمَّد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت 543هجرية - أَبُو الْحَسَنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، أَنْبَأَنَا الْبَرْمَكِيُّ وَالْقَزْوِينِيُّ الزَّاهِدُ ، أَنْبَأَنَا ابْنُ حَيْوَةَ ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السُّكَّرِيُّ ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الدِّينَوَرِيُّ ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْغَنَوِيُّ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زَحْرِ بْنِ حِصْنٍ عَنْ جَدِّهِ حُمَيْدِ بْنِ مُنْهِبٍ قَالَ : { سَمِعْت جَدِّي خُرَيْمَ بْنَ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ يَقُولُ : هَاجَرْت إلَى رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم - بِالمدينة مُنْصَرَفِهِ مِنْ تَبُوكَ ، فَسَمِعْت الْعَبَّاسَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِحَك .

فَقَالَ : قُلْ ، لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ مُمْتَدِحًا :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْت فِي الظِّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يخصّفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْت الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إلَى رَحِمٍ إذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

---

[1] صورة النور المحمدي د سالم عبدالعزيز سالم عوده مخظوطو ج القافرة

حَتَّى اسْتَوىَ بَيْنَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ خِنْدِفٍ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطْقُ
وَأَنْتَ لَمَّا بُعِثْت أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِك الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّور وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
(البسيط)
فَقَالَ لَهُ النَّبيّ- صلى الله عليه وآله وسلم - :" لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك " .[1]

فالشعر نوع من الكلام حسنة كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه؛ يعني أن الشعر ليس يُكره لذاته وإنما يكره لمتضمناته .

وقد سمع النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - غير ذلك من الشعر واستحسنة وشجع عليه مثلما فعل مع حسّان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم لكنا الآن في مجال هل قيل شعرٌ يتضمن النُّور المُحَمَّدِي أو الحقيقة المُحَمَّدِية في حياةالنَّبيّ أم لا؟ فقد رويت أبيات تشيرإلى عظيم مكانةالنَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يرفضها النَّبيّ وأثاب عليها فيروي ابن العربي "الفقيه "موقف جرير عند دخوله على عمر بن العزيز الخليفة الراشد الخامس، وأنَّ عمر كان يرفض دخول الشعراءعليه، وحواره مع عدي بن أرطأة حول الشعر والشعراء .

وَقَدْ كَشَفَ الْخَلِيفَةُ الْعَدْلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَقِيقَةَ أَحْوَالِ الشُّعَرَاءِ ، وَكَشَفَ سَرَائِرَهُمْ ، وَانْتَحَى مَعَايِبَهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ ، فَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا اُسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَفَدَتْ إليه الشُّعَرَاءُ ، كَمَا كَانَتْ تَفِدُ إلَى الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ ، فَأَقَامُوا بِبَابِهِ أَيَّامًا لَا يَأْذَنُ لَهُمْ بِالدُّخُولِ ، حَتَّى قَدِمَ عُدَيُّ بْنُ أَرْطَاةَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ فَتَعَرَّضَ لَهُ جَرِيرٌ ، فَقَالَ :
يَأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ هَذَا زَمَانُك إنِّي قَدْ خَلَا زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إنْ كُنْت لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ
وَحْشُ الْمَكَانَةِ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ وَلَدِي نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي
فَقَالَ : نَعَمْ ، أَبَا حَزْرَةَ وَنُعْمَى عَيْنٍ .

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 185)

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إنَّ الشُّعَرَاءَ بِبَابِك ، وَأَقْوَالُهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَسِهَامُهُمْ مَسْمُومَةٌ .
فَقَالَ عُمَرُ : مَا لِي وَلِلشُّعَرَاءِ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم ـ قَدْ مُدِحَ وَأَعْطَى ، وَفِيهِ أُسْوَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .
قَالَ : وَمَنْ مَدَحَهُ ؟ قَالَ : عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ فَكَسَاهُ حُلَّةً قَطَعَ بِهَا لِسَانَهُ .
قَالَ : نَعَمْ ، فَأَنْشَدَهُ :
رَأَيْتُك يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نَشَرْت كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقّ مُعْلَمَا
سَنَنْت لَنَا فِيهِ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا عَنْ الْحَقّ لَمَّا أَصْبَحَ الْحَقُّ مُظْلِمَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي النَّبِيّ مُحَمَّدًا وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا قَدْ تَكَلَّمَا
تَعَالَى عُلُوًّا فَوْقَ عَرْشِ إلَهِنَا وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا[1]
قَالَ : صَدَقْت ، فَمَنْ بِالْبَابِ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : ابْنُ عَمّك عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ .
قَالَ : لَا قَرَّبَ اللَّهُ قَرَابَتَهُ ، وَلَا حَيَّا وَجْهَهُ ، إلسَ هُوَ الْقَائِلُ :
أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ بَانُوا بِمَيْتَتِي شَمَمْت الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْك وَالْفَمِ
وَلَيْتَ طَهُورِي كَانَ رِيقَك كُلَّهُ وَلَيْتَ حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِك وَالدَّمِ
وَيَا لَيْتَ سَلْمَى فِي الْقُبُورِ ضَجِيعَتِي هُنَالِكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ
فَلَيْتَ عَدُوَّ اللَّهِ تَمَنَّى لِقَاءَهَا فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ؛ وَاَللَّهِ لَا دَخَلَ عَلَيَّ أَبَدًا .
فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت ؟ قَالَ : جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ .
قَالَ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :
أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعًا وَإِنْ نَمُتْ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
فَمَا أَنَا فِي طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ إذَا قِيلَ قَدْ سوى عَلَيْهَا صَفِيحُهَا
أَظَلُّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ روحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا
أُعْزُبْ بِهِ ، فَلَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَبَدًا، .فَمَنْ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت ؟ قَالَ : كُثَيِّرُ عَزَّةَ .
قَالَ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :
رُهْبَانُ مدىنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتهمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْت كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةِ رُكَّعًا وَسُجُودَا
أُعْزُبْ بِهِ .[2]

[1] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 191)
[2] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 192)

فَمَنْ الْعَاجِل ؟ قال: جرير، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْـهِ قَـالَ لَـهُ : اتَّـقِ اللَّهَ يَـا جَرِيـرُ ، وَلَا تَقُلْ إلَّا حَقًّا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

كَمْ بِالْيمَامَةِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَر
مِمَّنْ يَعُدُّك تَكْفِي فَقْدَ وَالِدِهِ كَالْفَرْخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَدْرُجْ وَلَمْ يَطِرْ
إنَّا لَنَرْجُو إذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنْ الْمَطَرِ
أَتَى الْخِلَافَةَ إذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِالنَّظْر
ونِيُّ الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَّيْت حَاجَتَهَا فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذَّكَر

فَقَالَ : يَا جَرِيرُ لَقَدْ وُلِّيت هَذَا الْأَمْرَ ، وَمَا أَمْلِكُ إلَّا ثَلَاثَمائَـةَ دِرْهَمٍ ، فَمِائَـةٌ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَمِائَةٌ أَخَذَتْها أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ، يَـا غُلَامُ ، أَعْطِهِ الْمِائَـةَ الثَّالِثَـةَ فَقَـالَ : وَاَللَّهِ : يَـا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنَّـهَا لَأَحَبُّ مَالٍ كَسَبْتُهُ إلى .

ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ لَـهُ الشُّعَرَاءُ : مَـا وَرَاءَك ؟ قَـالَ : مَـا يَسُوءُكُمْ ، خَرَجْت مِنْ عِنْدِ أَمِيرٍ يُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيمْنَعُ الشُّعَرَاءَ ، وَإِنِّي عَنْهُ لَرَاضٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

رَأَيْت رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنْ الْجِنِّ رَاقِيَا[1]

ثم يقول:

"أَمَّا الِاسْتِعَارَاتُ وَالتَّشْبِيهَاتُ فَمَأْذُونٌ فِيهَا وَإِنْ اسْتَغْرَقَتْ الْحَدَّ ، وَتَجَاوَزَتْ الْمُعْتَادَ ، وَقَدْ أَنْشَدَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ النَّبِيّ- صلى الله عليه وآله وسلم :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليومِ مَتْبُولُ متيمٌ إثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إذْ رَحَلُوا إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

(البسيط)

فَجَاءَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ الِاسْتِعَارَاتِ وَالتَّشْبِيهَاتِ بِكُلِّ بَدِيعٍ وَالنَّبِيّ- صلى الله عليه وآله وسلم - يَسْمَعُ وَلَا يُنْكِرُ ، حَتَّى فِي تَشْبِيهِ رِيقَهَا بِالرَّاحِ ، وَقَدْ كَانَتْ حَرُمَتْ قَبْلَ إنْشَادِهِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَلَكِنَّ تَحْرِيمَهَا لَمْ يَمْنَعْ عِنْدَهُمْ طِيبَهَا ؛ بَلْ تَرَكُوهَا عَلَى الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالِاسْتِحْسَانِ لَهَا ؛ فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأُجُورِهِمْ ، وَمِنْ النَّاسِ قَلِيلٌ مَنْ يَتْرُكُهَا اسْتِقْذَارًا لَهَا ، وَإِنَّهَالَأَهْلٌ لِذَلِكَ عِنْدِي ، وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ النَّاسِ فِي تَلَذُّذِهِمْ بِهَا وَاسْتِطَابَتِهِمْ لَهَا ، و وَاَللَّهِ مَا هِيَ إلَّا قَذِرَةٌ بَشِعَةٌ كَرِيهَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، وَاَللَّهُ يَعْصِمُ مِنْ الْمَعَاصِي بِعِزَّتِهِ .

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 194)

ثم يذكر رأيه في الشعر بقوله:
وَبِالْجُمْلَةِ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَى الْعَبْدِ الشِّعْرُ حَتَّى يَسْتَغْرِقَ قَوْلَهُ وَزَمَانَهُ ، فَذَلِكَ مَذْمُومٌ شَرْعًا .[1]
ويذكر حديثا مبتورا بقوله : "قَالَ النَّبِيّ- صلى الله عليه وآله وسلم - : " لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا " وَاَللَّهُ أَعْلَمُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ إلَّا إيَّاهُ .[2]
لكن الحديث الذي استشهد به ابن العربي الفقيه مبتور " لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا " .
وتمام الحديث يخرجنا من لغط المتشددين وهذا نصه :
(عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لأن يمتلىء جوف أحد كم قيحا أو د ما خير له من أن يمتلىء شعرا هجيت به"[3])
كلمتان فقط تخرجنا من هذا الضجيج الذي يثيره المخالفون من روافض الشعر(هُجِيتُ به)
إيجاز ما سبق:
"فلما دخل عدي بن أرطأة على عمر قال يا أمير المؤمنين إن الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وسهامهم مسمومة ، فقال عمر : مالي وللشعراء؛ قال يا أمير المؤمنين إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد مُدِح وأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم "
وينتقل ابن العربي لقضية مهمة أخرى وهي ذكر النساء والخمر في المدائح النبويه فيقول :
أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد، وتجاوزت المعتاد، وقد أنشد كعب بن زهيرالنَّبيّ- صلى الله عليه وآله وسلم -
بانت سُعَادُ فَقَلبي اليوم مَتبول متيمٌ إثْرها لم يُفْدَ مَكْبول
وما سُعاد غُدَاةَ الْبَيْنِ إذ رَحَلوا إلا أغنٌ غَضِيضُ الطَّرف مَكْحول
تجلوعوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت كأنَّه منْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلول
(البسيط )

---
[1] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 196)
[2] أحكام القرآن لابن العربي - (ج 6 / ص 195)
[3] مسند أبي يعلى - طبعة دار المأمون للتراث - (ج 4 / ص 47)

" فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَسمع ولا ينكرحتى تشبيه ريقها بالرَّاح ". (الكلام لابن العربي)
غير أنَّ النبهاني قد أثبت بيتاً لم يثبته ابن العربي في مدحة العباس بن عبد المطلب وكذلك في أبيات العباس بن مرداس ،ففي مدحة العباس بن عبد المطلب:

وَردْتَ نَارَ الْخَليلِ مَكْتَتَماً فِي صلبهِ أَنْتَ كَيْفَ يحْتَرِقُ
(البسيط)

وفي مدحة العباس بن مرادس :

ونوَّرت بالبرْهانِ أَمْرَا مُدمَساً وأطفأت بالبرهان جمراً مضرّما
الطويل

والبيت الأول يؤكد تنقل النَّبيّ عليه الصلاة والسلام في أصلاب آبائه وأنه سبب نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهذا يعوّل عليه المادحون الصُّوفية في القرن السّابع كثيرا ، والبيت الثاني يشيرإلى أنّ ما جاء به النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نور يرشد الحيارى ويخرجهم من ظلمة الشك والكفر وينجيهم من عذاب النار .
وقد مدح حسَّان بن ثابت النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفي مدائحه إشارات لوصفه بالنُّور كتشبيه النَّبيّ* ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالبدر والسيف والشمس وأن وجهه يشع نوراًإلى غير ذلك من صفات تم تنميتها بعد ذلك مثل :

وافٍ وَماضٍ شهابٌ يُسْتَضَاءُ به بَدْرٌ أَنَارَ على كلِّ الأمَاجيد
مبارك كضياء البَدْرِ صُورَتجه ما قال كان قضاءٌ غير مردود
(البسيط )

*وهذا تشبيه مقلوب لأن المشبه يفوق المشبه به .
وفي علو المكانة ونور النبوة يقول :[1]

أغرُّعليججججه للنججبوة خاتمٌ من الله مَشْــهودٌ يَلوْحُ ويُشْهَدُ
وَضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبيّ إلى اسْمِهِ إذَ قَال في الْخمــسِ المؤَذِنُ أَشْهَدْ
وَشَقَّ لَهَ مِنَ إسْمِه لِيجِلَّججه فذو العرشِ مَحْمودٌ وهذامُحمَّد
الطويل

وخاتم النبوة كما أشارت السيرة كان خاتم من نور كما ورد عند ابن كثير وغيره فيما تقدم في البحث .

[1] المجموعة النبهانية ص11 ج1

**وعن نور الهداية المُحَمَّدِية يقول حسَّان بن ثابت :[1]**

**لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنهُمْ نَبِيَّهمُ وَقُدِسَ مَنْ يَسْري إليهم وَيَغْتدِي**
**تَرحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ على قَوْمٍ بنورٍ مُجدَّدِ**
**هَدَاهم بِهِ بَعدَ الضلالةِ ربُّهمْ وَأَرْشَدَهم مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَرْشد**
**(الطويل)**

**وفي تفضيل النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - علي جميع أولاد آدم يقول:**

**أَنْتَ النَّبيّ وَخيْرُ عُصْبَةِ آَدَمٍ يَا مَنْ يَجَودُ كَفَيْضِ بَحْرٍ زَاخِرِ**
**(الكامل )**

**وفي نوره - صلى الله عليه وآله وسلم - وعدله وسطوته وقوته يقول :**

**متى يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبَهِيم جَبَيْنه يَلحْ مِثْلَ مِصْبَاح الدُّجَي المتَّوقِدِ**
**فَمَن كانَ أوْمَنْ قَد يَكون كأَحْمَدٍ نِظَامٌ لحقّ أو نكَالٌ لِمُـــــلحِدِ**
**(الطويل)**

**فالبيتان يثبت فيهما المادح نور الوجه كنورٍ حقيقي وليس مجازي كما يثبت الأفضلية السابقة واللاحقة والخصصيتان من أهم خصائص الحقيقه المُحَمَّدِية، وقال حسّان بن ثابت في الكمال المُحَمَّدِي اعتماداً على صفات الجمال لا الجلال كما فعل كعب بن زهير:[2]**

**وَأَحْسَنُ مِنْك لَمْ تَرَ قَطٌّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلدِ النسَاءُ**
**خلقت مُبرَّءا مِن كل عَيْبِ كَأَنْــك قَدْ خُـلِقْتَ كما تَشاءُ**
**( الوافر )**

**وعن علو المكانة وتفضيل النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - على جميع البشر وفضله على جميع العباد يقول عبد الله بن رواحة:[3]**

**رَوحِي الْفِداءُ لِمَنْ أخلاقُه شَهِدَتْ بأنَّهُ خَيــرُ مَولودٍ مِنَ البَشَرِ**
**عَمْتْ فَضائِله كل الْعِبادِ كَمَا عَمَّ البريَّةَ ضَوء الشَّمس والْقَمر**
**لو لمْ يَكن فِيه آَيـاتٌ مُبَيَّنَةٌ كانَتَ بَدِيْهَتهُ تُغْنِي عَنِ الَخبرِ**
**( البسيط )**

**ويقول عبد الله بن الزبعرى مادحاً للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -ويصفه بالنُّور:[4]**

---

[1] السابق ص62
[2] المجموعة النبهانية ص63 ج1
[3] السابق ص64 ج1
[4] السابق ص74ج1

وَعليكَ مِنْ سِمَةِ الْمَلِيك عَلاَمَةٌ نَور أَغَرّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومٌ
( الكامل )

وفي نور وجهه - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول أسيد بن سلمة السلمي :[1]

ضخم الدَّسيعَةِ كالغَزَالةِ وجْههُ قِرْناً تأزَّرَ بالمكارم وارتدى
(الكامل)

فكأنَّ الشمس تجري في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكأنّ البدر طالع عندما يهلُّ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد أخرج البيهقي عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنه لما قدم النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - المدينة جعل النساء والصبيان يقولون :

طلع البــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشّكر علينا ما دعــا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
( مجزوء الرمل)

ولمَّا مات النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وانتقل إلى الرفيق الأعلى رثاه الصحابة وفي ثنايا تلك المراثي إشارات إلى كونه - صلى الله عليه وآله وسلم - نوراً ومن ذلك فقد رثاه حسان بن ثابت بمرثية طويلة منها :[2]

بِطيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسولِ وَمَــــعْهَدٌ مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفو الرُّسومُ وَتَهْمَدُ
ولا تَنْمَحي الْآيَاتُ مِن دَارِ حرْمَةٍ بِها مَنْبَرُ الْهادِي الذي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضحُ آيـاتٍ وبَاقِي مَعَالِمٍ وَرَبْـعٌ لَه فِيهِ مُصلى وَمَسْجِـدُ
بِها حجرَاتٌ كَانَ يَنزِلُ وَسطَـهَا مِنَ اللَّه نورٌ يسْــتضَاءُ وَيُوقدُ
(الطويل )

ويقول :

تقطَّعَ فِيه مَنْزِلُ الْوَحِيِ عَنْهم وَقَد كَانَ ذا نور يغور وينجدُ
فَبينما هُمْ في ذَلِكَ النُّور إذْ غَدَا إلى نُورهِمْ سَهمٌ من الموت مُقصِدُ

ويقول :

نورٌ أضاءَ على البريَّةِ كلّها مَنْ يهْد للنُّور المبارك يَهْتد

---

[1] السابق
[2] السابق ص51ج1

**ويقول حسان بُعيد وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - مثبتاً أن النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - نورً:[1]**

**كانَ الضَّياءُ وكانَ النُّور نَتْبَعهُ بَعْدَ الْإلهِ وكَانَ السَّمعَ وَالبَصرَا**
**(البسيط)**

**وفي علو مكانة النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وأفضليته على جميع البشر وفي كونه نوراً يهدي إلى الرشاد يقول حسَّان بن ثابت :[2]**

**إلبثُ مَا في جَميع النَّاسِ مُجْتهداً مني إلـــــــــةً غَيْرَ إفناد**
**تالله مَاحملت أُنثي ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي**
**ولا بَرا الله خَلْقاً مِنْ بريّتــهِ أَوفى بذمَّة جارٍ أو بميــــــعادِ**
**مِن الذي كانَ فينا يُسْتَضــاءُ بهِ مبارك الأَمرِ ذا عَدلٍ وإرشــــادِ**
**مَصدِّقاً للنبيين الألى سلَفوا وأَبْذَلٌ الناس للمعــــــروفِ للجادي**
**يا أفضلَ النَّاسِ إني كنْتُ فِي نَهرٍ أَصْبَحْت مِنهُ كمثلِ المفرَد الصَّادي**
**(البسيط)**

**ومما تقدَّم يتبيَّن أن النَّبيّ – عليه الصلاة والسلام- سمع من يمدحه بكونه نوراً ولم ينكر ذلك ،وكذلك الصحابة الذين كانوا لا يفارقون النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، وبعيد وفاته رُثي صلى الله عليه وآله وسلم - وتضمنت المرثيات كونه نوراً ولم ينكر أيضاً الصحابة ذلك وقد روي عن أنس بن مالك أنه قال :" لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المدينة أضاءت منها كل شئ "، وعنه أيضاً: " لما قُبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها-أو لا يبصرها-وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا " ومثل ذلك روي عن أبي سعيد الخدري .[3]**

**والأمر لم يقتصر على الصحابة الذين مدحوا وسمعوا بأن النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - نور، ولكن هناك إرهاصات أخرى سبقت مادحي القرن السّابع الهجري من الصُّوفية قد ذكرت تصريحاً بأن النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - نورً اسما ولقباً وصفة ومن ذلك قول المسعودي في مروج الذهب :**

---

[1] السابق ص55 ج1
[2] السابق
[3] البداية والنهاية لابن كثيرص29ج6،وص244-246ج5 وسبق الإشارة لتلك الأحاديث

"وكنيته صلى الله عليه وسلم: أبو القاسم، وفي ذلك يقول الشاعر:

لله ممَنْ بَرَا صفوةٌ       وصفوة الخلقِ بنوهاشم
وصفوة الصفوة من هاشم    محمد النُّور أبوالقاسم

وهو محمد، أحمد، والماحي الذي يمحو اللهّ به الذنوب، والعاقب، والحاشر الذي يحشر الله الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم"[1].

وأبو العلاء المعرّي نُسب إليه ما يشيرإلى ذلك عندما مدح أحد العلويين واسمه الشريف أبو ابراهيم العلوي الموسوى فقال :[2]

يا ابنَ مُستَعرض الصّفوف ببَدرٍ       وَمُبيدَ الجُموعَ مِن غَطفَان
أَحَدَ الخَمسَةِ الذينَ هُم     الأغْ    راض مِن كُلِ مَنطقٍ والمَعَاني
والشُّخوصُ التي خُلِقنَ ضيا         ءً قبلَ خَلق المَريخ والميزَان
قَبل أَن تُخلَقَ السَّموات أَو تُؤ        مَرَ أفلاكهن بالّدوران
وَافقَ اسمُ ابن أَحمَد اسم رَسُول       اللهِ لَّما توافق المعنىان
يا أبا إبراهِيمَ قصَّر عنك الشعرُ       لمّا وٌصفت بالقـرآن
أُشرِبَ العالمونَ حبَّك طبْعاً        فَهوَ فَرضٌ في سَائِر الأديانَ

(الكامل)

فقد تضمنت أبيات المعري الحديث عن القدم النُّوراني لأهل العباءة عند الشيعة "المصطفى والمرتضى والزهراء والحسنين "

وانتقال أبو العلاء المعري من مدح الشريف العلوي إلى مدح النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - واضح في البيتين الأخيرين حيث إن العجْز عن مدحه من البشر بعد أن وصِفَ في القرآن الكريم ولعله كان يعني آية ( وإنك لعلى خلق عظيم).

والقول بالقدماء الخمسة أرى أنه تأثر من أبي العلاء بأقوال الحكماءوالفلاسفة وغيرهم من المجوس، فقد قال المجوس بأن القدماء الخمسة وهم  البارئ تعالى وهو أُورمز، وإبليس هو أهَرَمَن وكام وهو الزمان وجام وهو المكان وهو الخلاء أيضاً وهوم وهو الجوهر وهو الهيولى أيضاً وهو الطينة أو الخميرة  خمسة لم تزل، وأن أهرمن هو فاعل الشرور وأن أورمز فاعل الخيرات وأن هوم هو المفعول فيه كل ذلك وكذلك قال ديمقريطس، وشبيه بهذا الكلام قاله الحرنانيون .[3]

---

[1] مروج الذهب - المسعودي - (ج 1 / ص 277)

[2] أبو العلاء المعري نسبه وأخباره وشعره ومعتقده- أحمد تيمور ، ط2 مكتبة الأنجلو ص186
[3] السابق ص192، 196

وقد تناثرت في ثنايا المدائح غير النبوية وصف المادحين للمدوحين بالنُّور مثل مدح البحترى للخليفة العباسي المتوكل بقوله:[1]

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجي وانجاب ذاك العيشر
وافتن فيك الناظرون فأصبعٌ يومي إلىـك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بـــها من أنـعم الله التي لا تُكفر
(الكامل )

ولكن ملامح صورة النُّورالمُحَمَّدِي عند مادحي النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم – من صوفية القرن السّابع الهجري لم تقتصر على كونه نورًا، وضوءً حسيًا أو معنويًا ولكنها تعدَّت ذلك إلى صورة أشمل تحوي عدة خصائص أساسية يتكون من مجملها ما يسمي بالحقيقة المُحَمَّدِية

والحقيقة المُحَمَّدِية التي لبُّها ومحورها كون النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم- نورًا، من خصائص هذه الحقيقةالتي ترتكز على فكرة النُّورالمُحَمَّدِي الآتي:

1- القدم :

قدم النُّورالمُحَمَّدِي وأزليته، وأن هذا النُّور قد خلق قبل آدم عليه السلام وقبل الأنبياء وقبل السموات والأرض، وأن هذا النُّور مبدأ الموجودات، ومهدها جميعًا، وأن النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - لذلك فهوأبو الأنبياء معنويًا وإن كان ابن آدم عليه السلام جسديا وحسيًا، وغير ذلك مما تحويه فكرة القدم المُحَمَّدِي.

2- انتقال النُّورالمُحَمَّدِي وفضله على الأنبياء :

فكما كان هذا النُّور السبب في خلق الموجودات بإرادة الله وبقدرته فقد كان بتنقل هذا النُّور في أصلاب الأنبياء الفضل على هؤلاء الأنبياء ابتداءَ من آدم عليه السلام الذي توسَّل به عند خطيئته مرورًا بنوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام وانتهاءً بأبيه عبدالله بن عبدالمطلب، ولم ينقطع هذا الفضل عن بقية الأنبياء إذ أنه قد أمدهم جميعًا وكان سبب في نجاتهم كما عبَّر عن ذلك المادحون الصُّوفية .

3- إرهاصات الميلاد :

وقد أفاض المادحون حول إرهاصات الميلاد وما فيها من إشارات إ لى كونه - صلى الله عليه وآله وسلم - نورًا مثلما جاء على لسان قُس بن ساعدة وبحيرى وسطيح وشِق وورقة بن نوفل وغيرهم، ورؤى السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام التى كانت تراها أثناء الحمل به- صلى الله عليه وآله وسلم - وما يشيرإلى كونه نورًا كما

[1] الآداب العربية في العصر العباسي الأول –د محمد عبدالمنعم خفاجي ص16

وضّحت كتب السيرة حول هذه الجزئية .

4- الميلاد :

وما واكبه من نور أفاض على جنبات البيت وشهد به من حضر الميلاد كما روته كتب السيرة وتناوله المادحون في القرن السّابع، وتمثل لحظة الميلاد نقطة تحوّل في مرحلة النُّور؛إذ ظهر وبرز إلى الوجود وأخذ صورةً جديدة غير الصور السابقةعليها .

5- الحياة الجسدية من الميلاد وحتى الانتقال للبرزخ:

وكانت هذه المرحلة تمثل مشاهد نورانية متتالية انتقل فيها النَّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بدءً من الميلاد ومرورًا بحادث شق الصدر وما فيه من ختم قلبه بالنُّور، ودلائل نوره كما صاغها المادحون في مدائحهم وانتهاءً بانتقال النُّورإلى البرزخ ليأخذ شكلاً جديدًا .

-6 الإسراء والمعراج :

ومعجزة الإسراء والمعراج يعوّل عليها المادحون بشكل خاص والصُّوفية بشكل أخص لإثبات حقيقة النَّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) النُّورانية إذ أنه -- صلى الله عليه وآله وسلم - - قد سمع ورأى ما لم يصل إلى سمع أو بصر ملك مقرب أو نبي مرسل لإن الخطاب الإلهي كان كفاحًا بعد اختراقه- صلى الله عليه وآله وسلم - الحجب بقدرة الله وصولاً إلى سدرة المنتهي حيث السبحات المحرقة التي لم يجتزْإليها جبرائيل واجتاز منها النَّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما شاء الله له أن يجتاز.

-7 بشارات أهل الكتاب بالنَّبيّ- صلى الله عليه وآله وسلم - :

لقد بشرت الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب بالنَّبيّ -- صلى الله عليه وآله وسلم -ولكن الذي عوَّل عليه الباحث من هذه البشارات ما يشير إلى كونه - صلى الله عليه وآله وسلم - نورا، وما صاغه المادحون في مدائحهم مستفيدين من الكتب الدّينيةالتي توفرَّت لديهم عن أهل الكتاب وقد حاول الباحث أن يضيف من النسخ الجديدة المعتمدة لدى أهل الكتاب وغير المعتمدة ما يعضد فكرة النُّورالمُحَمَّدِي .

تلك هي الجزئيات الرئيسةالتي عوَّل عليها المادحون في رسم صورة النُّورالمُحَمَّدِي في مدائحهم في القرن السّابع الهجري، بالإضافةإلى جزئيات أخرى فرعية سيتم التنويه إليها أثناء تناول هذه الجزئيات بالبحث مع تعضيد ذلك كله بالنصوص الدينيةالتي اعتمدها الصُّوفية أساسًا لفكرتهم .

والعناصر التي ذكرناها إجمالاً سنتناولها تفصيلاً فيما يلي .

**1- الْقِدَمُ :**

**فالنَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نورٌ في القدم، وقد كان نبيًا وآدم لم يزل في طينته ولمّا نفخ الله في آدم، وأحلَّ بصلبه نورَالنَّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هذا النُّور سببًا في نجاته حين توسَّل به فيقول الصرصري في ذلك:[1]**

**وَلهُ خصائِصُ جازها من دونهم وَاسْتَمْلِ من لفْظِي مقالَ مُنتبهِ**
**منها نُبــــــــُوتُه وآدمُ طينةً وازداد نورًا حين حلَّ بصلبه**
**ورأى بعينه على العرش اسمه فدعا به حين استقل بذنبه**
**( الكامل )**

**وكل الخلق يتقلبون في هذا النُّورالمُحَمَّدِي الذي هو أصل كل الموجودات ،وهذا النُّور قديم قبل آدم وكان سببًا في توبةالله عليه ، فيقول الإمام مجد الدّين أبو عبدالله الوترى :[2]**

**بِنُورِ رَسُولِ اللهِ أَشْرَقت الدُّنَا فَفِي نُورِهِ كلُّ يَجِئُ وَيَذْهَبُ**
**بَراهُ جَلالُ الحقّ للخلقِ رحمةً فَكلُّ الورى في بِرّهِ يَتَقـــــلَّبُ**
**بَدا مَجْدُهُ مِنْ قبلِ نَشْأَةِ آدمٍ وَأَسْمَاؤه في العرشِ من قبْلُ تُكتَب**
**(الطويل)**

**وهذا النُّور القديم الذي شرَّف الله به آدم حين أسجدَ له الملائكة كان كالتاج على جبين آدم فيقول الوترى البغدادي:[3]**

**جَمالٌ بَدا بَيْن الْحطيمِ وزمزم فَظلَّتْ لَهُ الآفاقُ بالنُّور تَبْهُجُ**
**جرى أوَّلاً في وجْهِ آدمَ نوره وكانَ بِه يومَ السّجُودِ يُتوّ جُ**
**(الطويل)**

**وقد سبق نورالنَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كل الموجودات إذ كان اسمه مكتوبًا على العرش وبهذا النُّور قد طابت طيبة وأصبحت مصباح نور يشع على جميع طالبي النُّور فيقول الصرصري :[4]**

**طَابَتْ بأَحْمدَ طِيْبةٌ فَأَرِيجُها أَزكَي وَأَطيَبُ مِنْ عَبيرٍ فَاحَا**
**وَسَمتْ به أَنْوارُها فَلَقَد غَدَتْ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِهِ مِصبَاحا**
**هو سابقُ الأَعيانِ إذْ كُتِبَ اسمُهُ بِالعرْشِ ثُمَّتْ أُودِعَ الأَلْواحا**
**(الكامل)**

---

[1] المجموعة النبهانية ص408 ج1
[2] السابق ص411 ج1
[3] السابق ص569 ج1
[4] السابق ص587 ج1

وفي قدم النُّورالمُحَمَّدِي يذكر المـادحون موقف سيدنا آدم حين عصى وتـاب إلى الله وقبل الله توبته بعد أن توسَّل بالنَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، يقول في ذلك الصرصري [1]:

وَكُنْت خَيْرَ نبي عندَ خالقِنَا وروحَ آدمَ لمْ يَنْهضْ بها الجسدُ
فأبصَر اسْمَك فوقَ العرشِ مُكْتَتَبًا وتِلك منزلةٌ لمْ يُعْطَها أَحَدُ
فحين تاب دعا ربَّ العبادِ به فتاب حقَّاعليه الواحدُ الأحدُ

وتستقي الأبيات التي صاغها المـادحون من أحاديث نبويـة صحيحة منها قولـه صلى الله عليه وسلم :" كنت نبيًا وآدم متجندل في طينته "
و" كنت نبيا ولا مـاء ولا طين " ، و"كنـت أول النَّبيّين في الخلق وآخرهم في البعث "[2]
أمَّا توسلُ سيدنا آدم عليه السلام بـالنَّبيّ- صلى الله عليـه وآلـه وسلم - فقد ورد خبره في تفاسير القرآن الكريم في قولـه تعالى :{ وتلقي آدم من ربـه كلمـات } فالكلمات مُحمَّد رسول الله. [3]
وقوله تعالى { وعصي آدم ربه فغوى ثم اجتباه فتاب عليه وهدي} (طه122
قال وهب لما كثر بكاؤه أمره ربه بأن يقول :" لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين "
ثم قال :" سبحانك لا إلـه إلا أنت عملت سوء وظلمت نفسي فتب على إنك أنت التواب " قال ابن عباس عنها : هن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه .
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعترف آدم بالخطيئة قال يا رب :"أسألك بحق مُحمَّد أن تغفر لي فقال الله، أم كيف عرفت مُحمَّد ولم أخلقه قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إلىك فقال الله تعالى صدقت يا آدم أنَّهُ لأحب الخلق إلى وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولامُحمَّد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله"[4]
وفي الكلمات يقول القرطبي : قالت طائفة : رأى مكتوبًا على ساق العرش مُحمَّد

---

[1] السابق ص21 ج3
[2] -تفسير ابن كثير ص360 ج4
[3] السلبق
[4] - تفسير روح البيان للبرسويص439 ج1

رسول الله فتشفع بذلك - فهي الكلمات "[1] وكذلك موجود في معنى الكلمات في تفاسير البحر المحيط وروح المعاني وغيرهما

ويقول المادح "الصرصري" في ذلك المعنى :[2]

محمد الفاتح الخاتمُ السِّرَاجُ المنيرُ مُجِدُّ الدَّرِيسِ
نبي على العرشِ خُطَّ اسْمُهُ وأوصافَهَ ثبتت في الطُّرُوسِ

"الدّريس القديم ، والطروس الأوراق"

ويقول شمس الدين مُحمَّد بن عفيف التلمساني المشهور بالشاب الظريف بقدم نورالنَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وفضله على سيدنا آدم عليه السلام:[3]

زَيَنُ النَّبيّينَ عَيْنُ الرُّسْلِ خَاتِمُهُمْ في الْبَعْثِ أَوَّلُهُمْ في رتبة الشرف
لو لَمْ يَكْنْ نُورُهْ في ظَهْرِ آَدَمَ لَم يشْمَلْهُ مَا كان مِنَ عَفْوٍ وَمِنْ لُطْفِ

فهوصلى الله عليه وسلم مصطفى من قبل خلق الخلق وفي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب :[4]

يا مصطفي من قبل نشأة آدمٍ والكونُ لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءَك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق

ويقول آخرفي نفس المعنى :[5]

يا مصطفي والخلق رهن العدم والكونَ لم يَفْتُقْ كِمَامَ الوجَودْ
مَزِيَّةٌ أُعْطِيتَها في القِدَمْ بها على كُلِّ نبي تسودْ

وفي قدم النُّورالمُحَمَّدِي وتوسل آدم به صلى الله عليه وسلم، وفي اصطفائه وكونه نبيًا قبل السموات والأرض وفي علومكانته التي نالها منذ الأزل أكثر المادحون في ذلك المعنى ويقول البوصيري في ذلك:[6]

كان سرًا في ضمير الغيب من قبل أن يخلق كون أو يكونا
تشرق الأنوار من أنواره كلما أودعها الله جبينا
أسجد الله له أملاكه يوم خرُّوا لأبيه ساجدينا
ودعا آدم باسم المصطفى دعوة قال لها الصدق أمينا
فتلقى آدم من ربه كلمات هن كنز المذنبينا

فالبوصيري يقرر أن السجود كان لنورالنَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم – حين

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص376ج1
[2] المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ص260ج2
[3] السابق ص381ج3
[4] الدراسات الأدبية – مجموعة من المؤلفين ص148
[5] السابق
[6] المجموعة النبهانيةص25ج3

سجدت الملائكة لآدمَ عليه السلام فكأنّ السجودَ كان في الظاهر لآدم وفي الحقيقة لنورالنَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما أشار البوصيري .

وفي قدم النُّور وتوسل آدم به يقول الصرصري :[1]

وَقِيلَ كانَ اسْمُهُ سَطَرًا تَضمَّنَهُ عَرْشٌ عَظَيمٌ على الأَمْلاكِ مَحْمولُ
وَلاجَ فَوْقَ نُحُورِ الْعِينِ أَحْسَنَ مِنْ عِقْدٍ مِن الدُّرِّ زَانَتْهُ التفَاصِيلُ
لذاك آدم لما قام معتـــــذرًا إذ غرَّهُ مِنَ عَدُوِّ الله تسويل
دعا به فأجابَ الله دعوتـــــه وكان مِنْهُ لهُ قُربٌ وتبجيلَ
وزَانَهُ نُورُهُ أيَّامَ مَهْبُطِـــــهِ كأنَّما هو فوق الَوَجْهِ قِنْدِيلُ

ويقول ابن سيد الناس اليعمري صاحب السيرة:[2]

يَا مَنْ لَهُ أَوْجَبَ اللهُ النُبوَّة إذْ في الطِّينِ آدمُ لَم يُبْرِزهُ تَصْوِيلُ

ويقول الصرصري :[3]

يا من نبوته الزهراء ثابتةٌ وآدمُ المصطفى المجبول صلصال
يا سيدً لاسمه المنشق من سمة المحمود بالنُّور فوق العرش إسجال

ويقول الصرصري عن القدم المُحَمَّدِي النُّوراني وتوسل آدم عليه السلام به صلى الله عليه وسلم، ويكاد ذكر القدم النُّوراني لنَّبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يُذكر عند الصرصري في مدائحه جميعها، وهو بذلك يعبر عن رؤية جماعية للصوفية في القرن السّابع الهجري :[4]

هو الخاتم المبعوث بالحق آخرًا وإن كانَ في التفضلُ والخلق أوَّلا
وفي الجنة الفيحاء فوق قبابها وفوق نحور العين يُشرقَ في الطُّلى
بني مَجْدَهُ الرحمنُ إذ كتب اسْمَهُ على عرشهِ سطرًا من النُّور مُجْتلي
فعظم هذا عند آدَم جَاهَه فحين جنى أضحي به متوسلا

ويقول في مدحةٍ أخرى : [5]

يا من إله الورى خط اسمه شرفًا له على عرشه بالنُّور يرقمه
يا من به ساد أهل البيت فهو لهم نورٌ به ينجلي في الخَطبِ مُظلِمُهُ

ويقول أيضًا :

---

[1] السابق ص73 ج3
[2] السابق ص244 ج3
[3] السابق 248ج3
[4] السابق
[5] السابق ص43 ج4

نبي دعا الرحمنَ آدمُ باسمِهِ فأنقذه الرحمنَ من زَّلةِ الهفوِ
ولولاه لم يَخْلُق إلهك جنةَ النعيـــــــــــــم ولا النار المعَدَّةَ للسطوِ

ويقول مُحمَّد بن سوار الشيباني ت677هـ :[1]
ولَقَدُ كُنْت قَبْلَ ذَاكَ نبيًّا والسمواتُ ما استتم بناها
أنت معنى الوجـود والكون والألفــاظ يا من وجوده معناها
إنما الأنبياء أقمار تمّ في المعإلى وأنت شمس ضحاها

ولا نريد هنا أن نخرج من القدم النُّوراني إلى التطرق للحقيقة المُحَمَّدِيةالتي يقول بها الصُّوفية ويرون أن النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أصل الوجود ومبدؤه وأنه لولاه لما خلق الله السماوات والأرض ولا جميع المخلوقات، وأن جميع المخلوقات من فيض نوره- صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ولكن الذي نريد أن نبرزه هو ما تناوله المادحون في مدائحهم عن كون النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نورًا منذ الأزل وكيف انتقل هذا النُّور في الأنبياء وبرز جسدًا أثناء الميلاد والحياة الجسدية ثم توارى إلى البرزخ ليأخذ هيئة جديدة من هيئات النُّور وبذلك يكون البحث قد سلَّط الأضواء على جزئية مهمة في قصيدة المديح النّبوي وأعاد صياغتها من جديد وبشكل جديد وهذا ما نرجوا الله أن يوفقنا فيه .
ـ ومن القدم النُّوراني المُحَمَّدِي الذي عوَّل عليه الصُّوفية لإثبات هذا التصوّر بِنية مهمة هي أخذ الميثاق للنَّبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في عالم الذّر وأن هذا العالم كله كان نوراني ؛وأخذ الميثاق يثبت شيئًا آخر وهو أن هناك حقيقة سابقة للجميع ولكنها حقيقة روحانية حيث أخذ الله الميثاق على عباده لنفسه وإقرارهم بالتوحيد له، وأخذه الميثاق من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- للنَّبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، ولكن مزية النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ هي قدم حقيقته النُّورانية قبل هذه الحقائق جميعا وأنّ الكلّ استمد منه في الأزل وأيضًا في الدنيا
ويقول في ذلك البوصيري:[2]
مُحَمَّدٌ أَشْرَفّ الأَعْرابِ والْعَجَمِ مُحَمَّدٌ خَيْرَ مَنْ يَمّشِي على قَدَم
مُحَمَّدٌ بَاسِطَ الّمَعّرُوفِ جَامِعَه مُحَّمدٌ صاحبُ الإِحّسَانِ والّكَرِمِ
محمّدٌ تَاجُ رُسْلِ اللهِ قَاطِبَةً مُحَّمدٌ صَادِقُ الأَقْوالِ والْكلِمِ

---
[1] السابق 281ج4
[2] القصيدة المحمدية مع البردة دار القرآن دت ص31

**مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْميثاقِ حَافِظُهُ مُحَمَدُ طَيبُ الأَخْلاقِ والشِّيمِ**
**مُحَّمد رُويَتْ بِالنُّور طِيْنَتُهُ مُحَّمَدُ لَمْ يَزلْ نُورًا مِنَ القِدْمَ**

**فأخذ الميثاق من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لاتباع النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إنْ هو ظهر في زمن أحدهم يدل على قدم الحقيقة المُحَمَّدِية النُّورانية وكذلك الأنبياء ، قال تعالى :{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}آل عمران (81) "قيل : أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء أن يصدّق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان ببعضٍ ؛ فذلك معنى النُّصرة بالتصديق . وهذا قول سعيد بن جُبير وقَتادة وطاوس والسُّدي والحسن ، وهو ظاهر الآية . قال طاوس : أخذ الله ميثاق الأوّل من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخِر . وقرأ ابن مسعود { وَإِذَ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الذين أُوتُواْ الكتاب } . قال الكسائي : يجوز أن يكون { وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبيّين} بمعنى وإذ أخذ الله ميثاق الذين مع النَّبيّين . وقال البصريون : إذا أخذ الله ميثاق النَّبيّين فقد أخذ ميثاق الذين معهم؛ لأنهم قد اتبعوهم وصدّقوهم .**

**و «ما» في قوله «لَمَا» بمعنى الذي . قال سيبويه : سألت الخليل بن أحمد عن قوله عز وجل : { وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبيّين لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ } فقال : لما بمعنى الذي . قال النحاس : التقدير على قول الخليل للذي آتيتكموه ، ثم حذف الهاء لطول الاسم . و «الذي» رفع بالابتداء وخبره «من كتاب وحكمة» . و «مِن» لبيان الجنس . وهذا كقول القائل : لزيد أفضل منك؛ وهو قول الأخفش أنها لام الابتداء . قال المَهْدوِيّ : وقوله «ثم جاءكم» وما بعده جملة معطوفة على الصلة ، والعائد منها على الموصول محذوف؛ والتقدير ثم جاءكم رسول مصدّق به .**

**قوله تعالى : { ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ } الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم في قول عليّ وابن عباس رضي الله عنهما . واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين؛ كقوله تعالى : { وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً } إلى قوله { وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ } [ النحل : 113 ] . فأخذ الله ميثاق النَّبيّين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاقَ على أممهم . واللام من قوله «لتؤمنن به» جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف، وهو كما تقول في الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلنّ كذا ، كأنك قلت استحلفك ، وفصل بين القسم وجوابه بحرف الجر الذي هو «لِما» في قراءة ابن كَثير على ما يأتي . ومن فتحها جعلها متلقيةً للقسم الذي هو أخذ**

الميثاق . واللام في «لتؤمنن به» جواب قسم محذوف ، أي والله لتؤمنن به . وقال المبرّد والكسائي والزجاج : «ما» شرط دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على إن ، ومعناه (لمهما ) آتيتكم؛ فموضع «ما» نصب ، وموضع «آتيتكم» جزم ، و «ثم جاءكم» معطوف عليه ، { لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ } اللام في قوله «لتؤمنن به» جواب الجزاء؛ كقوله تعالى : { وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ } [ الإسراء : 86 ] ونحوه . وقال الكسائيّ : لتؤمنن به مُعْتمد القسم فهو متصل بالكلام الأول ، وجواب الجزاء قوله { فَمَنْ تولى بَعْدَ ذلك } . ولا يحتاج على هذا الوجه إلى تقدير عائد . وقرأ أهل الكوفة «لِمَا آتيتكم» بكسر اللام ، وهي أيضاً بمعنى الذي وهي متعلقة بأخذ ، أي أخذ الله ميثاقهم لأجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم إن جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به من بعد الميثاق : لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف كما تقدّم .[1]

وما يؤكد أن أخذ الميثاق الخاص بالنَّبيّ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الرسول هنا سيدنامُحمَّد صلى الله عليه وسلم، وينصروه إن أدركوه وأمرهم بأن يأخذوا الميثاق على أممهم، واللام واقعه في جواب القسم قسم محذوف أي والله لتؤمنن به ،وقوله تعالى :{ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب} هذا متصل بذكرإليهود فأنهم أمروا بالإيمان بسيدنا مُحمَّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـوبيان أمره فكتموا نعته فالآية توبيخ لهم .

قال الضحاك : إن إليهود كانوا يقولون للملوك إنَّا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبياً في آخر الزمان يختم به النبوة فلما بعثه الله سألهم الملوك أهو هذا الذي تجدون في كتابكم؟ فقال إليهود طمعاً في أموال الملوك : هو غير هذا، فأعطاهم الملوك الخزائن فقال الله تعالى :{ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا } الملوك من الكذب حتى يأخذوا عرض الدنيا.[2]

ومن الأيات التي يعول عليها الصُّوفية في مسألة القدم المُحَمَّدِي ويضمنوها قصائدهم كما مَّر بنا قوله تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف/81]فقد جاء في تفسيرها " أي أول الذين عبدو الله " قال أبو صخر أي أنا أول من عبده بأنه لا ولد له وأول من وحده، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد فأنا أول العابدين أي أول من عبده ووحده .[3]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - (ج 4 /ص 145)
[2] السابق
[3] تفسير ابن كثير ص136 ج4

ولهذا فالنَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إن كان ابن آدم حسّا فهو أبوه في المعنى لإنه خُلِق قبله فهو بهذا الفاتح للخلق والخاتم للأنبياء وفي ذلك يقول البوصيري :[1]

ختم الله النَّبيّين به　　　　قبل أن يجبل في آدم طينا
فهو في آبائهم خير أب　　　　وهو في أبنائهم خير البنينا

ويقول الشهاب أحمد بن أبي القاسم القيرواني في القدم النُّوراني لسيدنا مُحمَّد - صلى الله عليه وآله وسلم - وفي فيض أنواره على العالم :[2]

وأول ايجاداً وآخر مبعثاً　　　　وأيسر تشريعاً وأوضح ميسما
نبيٌّ براه الله من قبل آدم　　　　وأرســـــله للخير بعد مُعلَّما
نبيٌّ أضا قبل العوالم نوره　　　　ولولا سناه لاغتدى الكون مظلما

ويقول في القدم المُحَمَّدِي أيضاً:[3]

نبيّ هدى لولا ما أشْرَقَ الضُحي　　　　ولا أزْهَرَ الدَّاجي ولا أعْشَبَ الحمى
نبيٌّ هدىً لولاه لم يُخلق الورى　　　　ولا العرش والكرسي والأرض والسّما
نبي هدى لو لم يكن أفضل الورى　　　　لما أمَّ في أرض ولا أمَّ في سما
هو الأول الهادي هو الآخر الذي　　　　تأخر إرسالاً وخلقاً تقـــــــدَّما
هو الذِّرْوَةُ العليا التي ليس تُرتَقي　　　　هو العروة الوثقي التي لن تُفَصَّمَا
هو النقطة الأولى التي قد تأصَّلتْ　　　　هو الجوهر الفرد الذي لن يُقسَّما

والأبيات السابقة تشيرإلى الحقيقة المُحَمَّدِية التي يقول بها الصُّوفية وأنه لولا النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - لما كان وجود أو شهود أو عهود ،وتتكرر هذه المفردات في صيغ الصلاة على النَّبيّ عند أقطاب التصوف من السيد القطب أحمد الرفاعي والجيلاني والشاذلي والبدوي والدسوقي رضي الله عنهم جميعا.

وفي القدم والنُّور والميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء في الأزل لاتباع النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول الصرصري :[4]

هو الفاتحُ السّابق والخاتم الذي　　　　مناقبه في الفضل لا تتناهي
لَقَدْ كَتَبَ الرَّحْمنُ فِي ٱلْقِدَمِ اسْمَهُ　　　　على الْعَرْشِ والجَنَّاتِ حِيْنَ بَنَاها
وَوَاثَقَ كلَّ الأَنبِياءِ لِنَصرِه　　　　مُوَاثَقَةً كُلٌّ وَفَى ورَعـــــــاها

---

[1] المجموعة النبهانية ص163ج4
[2] السابق ص 126ج4
[3] : السابق ص171ج4
[4] السابق ص274

ومن الدلائل التي تؤكد قدم النُّورالمُحَمَّدِي وأخذ الميثاق ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلت فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ قال فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال :"كنت في صلبه وركب في السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي ابراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبيةإلى الأرحام الطاهرة ، صفتي مهدي لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالاسلام عهدي ونشر في التوراة والإنجيل ذكري وبين كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام بوجهي وعلمني كتابه وزادني شرفاً في سمائه وشق لي اسما من اسمائه فذو العرش محمود وأنا مُحمَّد وأحمد، ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع ثم أخرجني من خير قرن لأمتى وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر". قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت في النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:[1]

قبلها طبت في الظلال وفي مستودع يوم يخصّف الورق

وقد سبق ذكر الخبر بنصه قبل ذلك ولكن تم إثباته هنا للاستشهاد بقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ " وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالاسلام عهدي" وحتى لا يكون النص المستشهد بة مبتوراً من أصله.

وفي الحديث مرفوعاً عن أنس رضي الله عنه: " وأوحي الله إلى موسى أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار فقال يا رب ومن أحمد؟ قال : ما خلقت خلقاً أكرم على منه كتبت أسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض، وأن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته ، قال :ومن أمته؟ قال : الحمادون يحمدوني صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم إلسير وأدخلهم الجنه بشهادة أن لا إله إلا الله ، قال : اجعلني نبي تلك الأمة ، قال: نبيها منها، قال : اجعلني من أمة ذلك النَّبيّ، قال :استقدمت وتأخر (أي في الزمان ) ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال . انتهي وورد معناه من طرق كثيرة .[2]

وقد ورد في تفسير الآية الكريمة {وما كنت بجانب الطور إذ نادينا }46 القصص ، ما يؤكد قدم الأمة المُحَمَّدِية وفضلها، وهذا الخبر يعتمد علىة الصُّوفية بجانب آية أخذ الميثاق على العباد بالإقرار بالعبودية لله عزَّ وجل، وأنهم يقومون برياضاتهم

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ،وسبق ذكره

[2] تبرئة الذّمة في نصح الأمة للإمام فخر الدين الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني ص28

الروحية لتذكّر يوم ( ألست،) وكذلك ما أورده بعضهم أنهم قد شهدوا أنتقال النُّور المُحَمَّدِي منذ الأزل حتى ظهوره جسداً في شخص النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سيتناوله البحث في الجزء الخاص بالأقطاب وتناولهم لصورة النُّور المُحَمَّدِي .
ومن الأشياء التي عوَّل عليها الصُّوفية المادحون لإثبات القدم المُحَمَّدِي وما يحويه من كمال وعلو مرتبة أنه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد خُلق قبل الخلق كما أشرنا قبل ذلك وأنه قد تعلَّم القرآن في الأزل فيقول البوصيري :[1]

آياتُ حقّ مِن الرّحْمنِ مُحُدَثَة قَدَيمةٌ صِفَةُ الْمَوصُوفِ با لِقِدَمِ

فالقرآن قديم لأنه كلام الله والكلام صفة المتكلم وقد علمه الله للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأزل ،وما يؤكد ذلك قول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها عندما سُئلت عن أخلاق النَّبيّ فقالت :" كان خلقه القرآن " وكذلك قول الله تعالى :{ وإنك لعلى خلق عظيم} فلا أعظم من أخلاق القرآن .
أما النص الذي يعتمد عليه الصُّوفية في ذلك فهو قول الله تعالى في سورة الرحمن : { الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)} [الرحمن/1-4] فقد جاء في تفسير الآيات
الرحمن الله سبحانه وتعالى ، علم قيل مُحمَّد ـ صلى الله عليه وآله وسلّم أي علم مُحمَّد القرآن ، خلق الإنسان ؛الإنسان محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ علمه البيان قيل المراد بالبيان بيان المنزل والكشف عن مراد ربه كما قال تعالى: (وأنزلناإليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ) 44 النحل ".[2]
وهناك أدلة أخرى على القدم وأنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أصل الموجودات سيتعرض لها البحث في الجزء الخاص بالأقطاب، ونختم هذا الجزء بقول محيّ الدين بن عربي مادحاً للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ متناولاً صفة القدم :[3]

ألاً بأبي مَنْ كانَ مَلْكاً وسيّداً وآدمُ بين الماءِ والطينِ واقفُ
فذاك الرَّسولُ الأبْطحِيّ مُحمَّد له في العلا مجْدٌ تليدٌ وطارِفُ

وبعد أن تناول البحث جزئية القدم النُّوراني للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ عند المادحين في القرن السّابع الهجري من خلال المدائح النبوية التي صاغوها متأثرين بنصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف وتفاسير تتماشى مع عقيدتهم في كون

---

[1] المجموعة النبهانية ص9 ج4
[2] روح المعاني للأوسي منص17،19 بتصرف
[3] المجموعة النبهانية ص374 ج2

النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ نوراً قديماً، وأنه أصل الموجودات، وأن لهذا النُّور فضلاً على سيدنا آدم عليه السلام، وغير ذلك من تفصيلات ضمنوها مدائحهم سيتناول الباحث مرحلة أخرى من مراحل النُّور المُحَمَّدِي ألا وهي تنقُّل هذا النُّور عبر الأصلاب والأرحام الطاهرة وفضل ذلك النُّور على أصلاب آبائه وأرحام أمهاته كما ورد في مدائح الشعراء الصُّوفية في القرن السّابع الهجري محاولين الربط بين ما صاغه المادحون وبين نصوص دينية قد أعتمدواعليها في بيان اعتقادهم في النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حول هذه الجزئية .

## ـ انتقال النُّور المُحَمَّدِي :

جزئية انتقال النُّور النبوي المُحَمَّدِي عبر أصلاب آبائه وأرحام أمهاته تجد عند المادحين اهتماماً كبيراً في قصائدهم التي مدحوا بها النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما أثبتوه للحقيقة المُحَمَّدِية في طورٍ من أطوارها وهو طور الانتقال في الأصلاب، كما أثبتوا أن هذا النُّور كان له فضلٌ على كل من حمله بدءًا من آدم عليه السلام مروراً بأنبياء كثر قد حملوا هذا النُّور أم لم يحملوه كما ذُكِر عند بعض المادحين ومرحلة انتقال النُّور المُحَمَّدِي عبر الأصلاب والأرحام تجد ما يؤيدها من نصوص دينية احتج ويحتج بها الصُّوفية، من هذه النصوص أحاديث نبوية، وأيات قرآنية لها تفاسير يأخذ الصُّوفية بعضها لإثبات نظريتهم حول النُّور المُحَمَّدِي ،ومن هذه النصوص الدينية قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :"انتقلت من صلب طاهرإلى رحم طيب من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصيبني من سفاح الجاهلية شئ ". صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ففي تفسير قوله تعالى:{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) }
يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم، عليه السلام: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ } [البقرة: 129]، وقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ } [آل عمران: 164]، وقال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } أي: منكم وبلغتكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول

كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.
وقال سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه في قوله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال صلى الله عليه وسلم: "خرجت من نكاح، ولم أخرج من سِفاح".وقد وصل هذا من وجه آخر، كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهُرْمُزي في كتابه "الفاصل بين الراوي والواعي": حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: أشهد على أبي لحدثني، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يمسني من سفاح الجاهلية شيء"[1].

"خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء" (الطبرانى فى الأوسط ، وابن أبى عمر ، وابن عدى ، وابن عساكر عن على)[2]
ومن فضل هذا النُّور المنتقل في الأصلاب والأرحام أنه كان وسيلة آدم- ونجاة نوح- ونجاة إبراهيم- ونجاة اسماعيل- وبشرى عيسى- ودعوة إبراهيم- وترانيم داودعليهم الصلاة السلام جميعاً.
وقد ورد في كتب السيرة ما يؤيد ذلك ومنه ما ذكره ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم فقلت فداك أبي وأمي يا رسول الله أين كنت وآدم في الجنة؟ قال فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : كنت في صلبه ورُكبَ بي في السفينة في صلب أبي نوح وقُذِفَ بي في صلب أبي إبراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبةإلى الأرحام الطاهرة صفتي مهدي لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي ونشر في التوراة والإنجيل ذكري وبيَّن كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام بوجهي .... ألخ الحديث الذي سبق ذكره
ومن النصوص القرآنية قوله تعالى :{الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}الشعراء 89

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير - طبعة دار طيبة - (ج 4 / ص 241)

[2] جامع الأحاديث - (ج 12 / ص 272)

قال ابن عباس : أي في أصلاب الأباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبيًّا، وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ " لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ".

وقد مُدح النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم في حياته من حسان بن ثابت، ومن عمه العباس بأبيات تشيرإلى التنقل النُّوراني عبر الأصلاب والأرحام إلى أن برز في الوجود الجسدي مع الميلاد وقد سبق الإشارة لتلك الأبيات ومنها:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصّف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحمٍ إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نارَ الخليلِ مكْتَتَماً في صلبِهِ أنت كَيفَ يحترقُ

فقال له النَّبيّ صلى الله عليه وسلم : "لا يفضض الله فاك".[1]

وعندما يتناول المادحون مرحلة التنقل النُّوراني في رحلة النُّور المُحَمَّدِية في مدائحهم يتفاوتون فيما بينهم وحتى في قصائدهم لدى كل شاعر منهم فنرى أن هذه الجزئية قد لا تُذكر على الإطلاق في بعض المدائح وقد تأتي في صورة ومضة سريعة دون تركيز ولكنها تحمل من التكثيف ما يكفي لعدم الإفاضة فيها، وقد يذكرها المادح بشكل تفصيلي متتبعاً لانتقال النُّور عبر الأصلاب حتى الظهور مع التعويل على فضل هذا النُّور على الأصلاب والأرحام التي حلّ بها وتنقّل عبرها.

ومن الومضات السريعة ما ذكره الصرصري في إحدى مدائحه حين كان يستعرض المعجزات والفضائل المُحَمَّدِية بقوله :[2]

كانَ على الأعداءِ ذا قُوةٍ وبالذي يَبغِي الهدى يَرفِقُ
في صلبِ نوحٍ كانَ مستَودعاً فَهو على الماذيِّ لا يَغرَقُ
وَصلبُ إبراهيمَ مِن أَجلهِ لَه ضِرامُ النارِ لا يحرقُ
وكان من مُعجزه أن غدا ماءٌ رِوي مِن كفهِ يَدفقُ
كما حَوى كفّاهُ تمراً بهِ أشبَع جَيشاً ضمَّه الخندقُ

وكأن المادح يرى أن هذه مسأله منتهية لا تحتاج إلى ذكرٍ أو إطالةٍ فيها، بينما قد

---

[1] الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي (ج 13 / ص 145) ، المجموعة النبهانية ص56 ج1
[2] المجموعة النبهانية ص408 ج2

تُرى هذه الجزئية في قصيدة المديح في مدائح أخرى يتناولها المادح بإسهاب وكأنها قد قفزت من قلبه الذي يؤمن بها إلى لسانه الذي لا يزال لاهجاً يمدح النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وبكل الخصائص التي اختصّ بها ومنها كونه نوراً متنقلاً في الأصلاب فيقول الصرصري في انتقال النُّور المُحَمَّدِي :[1]

مِنَ القَبضَةِ البَيضَاءِ طِينة آدَمٍ — زَكَت وَحَماها اللهُ مِن غَيرِ البلي
لَقَد أخرِجَت مِن قَبرِه العطر الثّرى — لِتُعجَن بالتسنيم عَجنا وَتُنجتَلى
وَتُغمسَ غمساً كي تزيدَ طهارةً — بأنهارِ جَناتِ النــــعيمِ وتَكملا
وَطيفَ بها السبعُ الطباقِ كمثل ما — به ليلة المعراج طِيفَ مُبَجّلا
وَحل من الأصلاب في كلَ طاهر — مِن الذّام عن وصم السفاح تعزّلا
وكل حشا طابَت وطابَ نِجَارُهَا — فما زال فيها طيباً متــــــــنقلا
إلى أن بَدا في طالعِ السعَدِ كامِلَ — المَناقبِ والأخلاقِ والنُّور والحلَى

ومن الإشارات التي توضح فضل النُّور المُحَمَّدِي في الأصلاب والأرحام يقول الشهاب محمود المتوفي سنة 725هجرية :[2]

بك كرّم الله الجدودَ وَطَهر ال — آباءَ إذ وَلدوكَ جِيلاً جيلا
وبِكَ استَفَادَ أبوكَ أعظمَ عِصمةً — أضحتَ على كرَمِ النجارِ دليلا
ولك المقامُ وَزمزَمٌ ولأجلِكَ — اختصَ الفداءُ أباك إسماعيلا
حَملتكَ أَمِنةُ الحصَانُ فلم تجد — عِبءاً كعبءِ الحامِلات ثقيلا

وبسبب هذا النُّور كان نور الأنبياء جميعاً الذين حل في أصلابهم أوحتى الذين لم يحل في أصلابهم لإن نورهم الحقيقي والمعنوي إنما هو مقتبس من نوره - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقول البوصيري في هذاالمعنى:[3]

وكلُّ آي أتى الرّسل الكرام بها — فإنما اتصلت مِن نوره بِهِــــم
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبها — يُظَهِرنَ أنوارَها للناسِ في الظلمَ

وتأتي أحيانا السيرة النُّورانية في ثنايا إحدي المِدح فيفصّل المادح ما أجمله قبل ذلك ويطنب في وصف تنقل النُّور عبر الأصلاب والأرحام فيقول الصرصري:[4]

---

1 السابق ص248 ج3
2 السابق ص279 ج2
3 السابق ص6 ج4
4 السابق 49-50 ج4

محمد ذي الخلق العظيم عليه منه أفضل التسليم
طينته من خير ما أديم أستخرجت بقوة الحكيم
من تربة عاطرة النسيم من قبره المنور الرسوم
فعجنت بالماء من تسنيم وغمست في أنهر النعيم
طيف بها طاهرة التكريم في الأرض والسماء بالتقديم
حل صلب آدم الكريم ونوره من أحسن الوسوم
في وجهه المخصوص بالتعلم وانتقل النُّورإلى الوحوم
حواءَ ذات المنطق الرخيم ولم تزل في حملها المعلوم
تجئ باثنين كخشفي ريم وانفردت بشيت ذي التعظيم
كرامة للمصطفى الرحيم وحل صلب نوح الحليم
والفلك في آذيِّه المركوم وحَلَّ أيضاً صلب إبراهيم
ذي الرّشدِ إذا أُلقي في الجحيم وما التقى في الزمن القديم
زوجان من آبائهِ القروم على سفاح شين بالتحريم
بل بنكاح ثابت الأروم مطهر الفروع والجرثوم

فالمادح لم يغفل كون النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - له ظهور جسدي مادي بشري ولكنه يثبت لهذا الجسد خصيصة نورانية ومكانة لا يرقى إليها أي مخلوق، فإن طينته منتقاه من ثرى قبره الطاهر المنور وماؤه من تسنيم وأنهر النعيم وأنّ طينة الجسد طيف بها في القدم في السموات والأرض قبل خلق آدم عليه السلام ثم رُكب النُّور المُحَمَّدِي في ظهر آدم عليه السلام وأخذ يتنقل من الأرحام والأصلاب مروراً بحواء ونوح وإبراهيم .
وإلى خصوصية طينته وأنها منتقاه ومروية بالنُّور منذ القدم قد أشارإلى ذلك البوصيري في قصيدته المُحَمَّدِية بقوله:
محمد رويت بالنُّور طينته مُحمَّد لم يزل نوراً من القدم
على أنّ كثافة الطين لم تطغ على شفافية النُّور أثناء البروز الجسدي وهذا ما سيشيرإليه الباحث اعتماداً على المدائح النبوية التي تناولت إثبات كونه –عليه الصلاة والسلام - نوراً بالأدلة التي يعتمد عليها هؤلاء المادحون .
وقد كان للنُّور المُحَمَّدِي فضل سابق على الأنبياء الذين حملوا هذا النُّور أو الذين دعوا الله به فنالوا فضلا من الله بسبب توسلهم بالنَّبيّ صلى الله عليه وسلم

**يقول الصرصري:[1]**
**وقيل كان اسمه تضمنَه عَرشٌ عظيمٌ على الأملاك محمول**
**ولاح فوقَ نحورِ العينِ أحسن من عِقد من الدُّر زانته التفاصلُ**
**لذاك آدمٌ لما قام معتذراً إذ غره من عدو الله تسولُ**
**دعا بِهِ فأجابَ الله دَعوتَهُ وكانَ منه له قربٌ وتبجيلُ**
**وزانَه نوره أيامَ مهبطهِ كأنما هو فوقَ الوجهِ قنديلُ**
**وأودعت نورَه حواءُ فأبتهجت وكان مِنه لها تاجٌ وإكليلُ**
**وبالأبوة شيثُ نال منفرداً شأوا من الفضل لم يدركه هابيل**
**وحلَّ في صُلب نوحٍ في السفين وفي صُلبِ الخليلِ وللنيران تشعِيلُ**

**حتى أن نورالنَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - قد امتنعت المدية عن الذبح بسبب وجوده في ظهر سيدنا إسماعيل عليه السلام وذلك حتى ينتقل النُّور ليظهر في الوجود الجسدي للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقول الصرصري متتبعاً لسيرة النُّور المُحَمَّدِي :[2]**
**وَالمديةُ انقَلَبَت عِندَ الذبيحِ لِما مِن نوره فيه مَكنونٌ ومجيولُ**
**ولمَ يَزَل بصَحيحِ العَقدِ يودِعه الزُّهرَ الطواهرَ آباءٌ بهَإلىلُ**
**حتى استقَرت لهَ في هاشم قَدمٌ لَها مِنَ المَجدِ تفريعٌ وتأصيل**
**وأحرز النُّور عبد الله فهو بِه ناج من الذّبح تفديه الشمإلىل**
**ثم استقلت به الزهراء آمنةٌ الحصان لم يلقها في الحمل تثقيل**
**حتى بدا عام سارت نحو مكة أوباش الأحابيش يحدو جيشها الفيل**
**فكأن من سره المكنون أن دفعت عنها أعاديها الطير الأبابيل**
**فأشرقت عرصات الأرض حين بدا نورٌ له في الطباق السبع تجويل**

**ويذكر البوصيري فضل نور النَّبيّ على سيدنا أيوب ويونس عليهما السلام وكذلك يعقوب وفي مدائح أخرى يُذكر يوسف وإلىاس وصالح وهود ولكن في القرن الثامن والتاسع وما تلاهما فيقول البوصيري :[3]**

---
[1] السابق ص25ج3
[2] السابق 25ج3
[3] السابق 164ج4

كَانَ سراً في ضمير الغَيب مِنْ قَبلِ أَن يُخلقَ كَونٌ أو يَكونا
تشرقُ الأكوانُ من أنوارهِ كلماَ أودَعها اللهُ جَبينا
وَبه نوحٌ دَعا في فُلْكهِ فَأغاثَ اللهُ نوحاً والسفينا
وأغاثَ اللهُ ذا النونِ بهِ بَعد ما أغرى به في البحر نونا
وشَفي أيوبَ من ضرٍّ كما سرّ يعقوب وقد كان حزينا
وخليلُ اللهِ هَمّت قومه أن يَكيدوهُ فكانّوا الأخسَرينا
وَبِنور المصطفى إطفاءُ ما أوقدوه وتولوا مُدبرينا
وَجَدَته أنبياءُ اللهِ في كل فضلٍ واجداً ما يَجدونا
مَصدرُ الرحمةِ للخَلقِ فلا عَجبٌ أَن يتولى الصالحينا
خَتَـــــــمَ الله النَّبيّينَ بهِ قَبلَ أن يَجبلَ مِن آدمَ طينا
فَهوَ فِي آبِاهم خَيرُ أبٍ وَهوَ في أَبنائِهم خَيرُ البنينا

ففضل هذا النُّور قد عمّ الأنبياء الذين سبقوا النَّبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الظهور الجسدي لذلك كان فضل النَّبيّ عليهم سابقاً بنوره ولاحقاً بشفاعته العظمى.
وتكثر الإشارة إلى أن النُّور قد تنقل في الأصلاب وظهر أثره على الجباه فكانت تنير لما تحمله الأصلاب فيقول الصرصري في نور الجباه التي حملت أصلاب أصحابها النُّور المُحَمَّدِي ووجد أثر ذلك النُّور فوق تلك الجياه:[1]
وَفَوق الجباهِ الزُّهرِ مَازال نُوره يَبوء بِهِ مِن كل حَي وِسامه
إلى أن بَدَا في جَبهَةِ العاشِرِ الذي فَدَتهُ مِن الذّبح العَظيم سَوَامُه
وَباتَت بِهِ الزهرَاءُ آَمِنةُ التي عَدَاهَا تَجَافِي حَملِهِ وسِقَامه

وعن انتقال النُّور المُحَمَّدِي وفضله يقول الشاب الظريف مُحمَّد بن عفيف الدّين التلمساني:[2]
لَو لَم يَكُن نوره في ظَهر آَدَمَ لم يَشمَلهُ مَا كانَ من عَفوٍ ومِن لطفِ
وَهوَ المخلصُ نوحاً في سَفِينتهِ وَقد جَرت في عَظيم الموج منقذفِ
ونوره صَان إبراهيمَ عَن لَهَب مِن نَار نمرود لما أن عَلاه طُفي
وَقَد فَدَى اللهُ إسماعيلا خيرَ فداً صَونا لِمودع نورِ مِنه مُكتنف

[1] السابق 58ج4
[2] السابق 381ج4

يا نفس صلي عليه والقرابة مع		أصحابه ومحب فيه متصف
واثبتي الفضل للصديق ثم أبي		حفص وعثمان وابن العم واعترفي

واعتقاد الصُّوفية في النُّور المُحَمَّدِي يخالف اعتقاد الشيعة، فالنُّور عند الصُّوفية ليس مقصوراً على الأئمة بعد النَّبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - بل يمكن أن ينال منه كل مسلم على قدر اجتهاده في الدين، وإضافةإلى ذلك أن الصُّوفية يعترفون بخلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ولا يرفضون خلافة سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم كما يعتقد بعض الشيعة أن الخلافة لم تكن إلا في سيدنا علي وأبنائه لذلك قد أردف المادح الصوفي في نهاية مدحته الاعتراف بفضل الخلفاء الأربعة ولا سيما الثلاثة السابقين على الإمام على كرّم الله وجهه حتى ينبو بنفسه وبالصُّوفية عن تهمة الرفض الشيعية التي تتخفى وراء حب آل البيت ،ويبثّون في الناس بغض الخلفاء الراشدين الثلاثة ويتطاولون على الصحابة معظمهم ،ويرددون حديث الإفك كالمنافقين ، والله نسأل الهداية للجميع .

أمّا عن الخصائص الفنية والبلاغية في المدائح النبوية الفصيحة والشعبية ، أعني الشعبية التي جاءت في بعض السير الشعبية فقد أفردت لها جزءا خاصا في رسالتي الماجستير والدكتوراه.
والله ولي التوفيق
د سالم عبدالعزيز سالم عوده
الجيزة - مصر

## من المصادر والمراجع:

### أ- المصادر :

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس ( العهد القديم والجديد )

**- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني : الكامل في التاريخ - دار الفكر العربي بيروت سنه 1987م.**
**- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب المصرية سنة 1936م .**
**- ابن الخطيب : أوضح التفاسير- مكتبة الإيمان المنصورة د.ت**
**- ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة بيروت لبنان سنة 1968م.**
**- ابن سيد الناس محمد بن محمد بن عبدالكريم يحيى بن سيد الناس : السيرة النبوية عيون الأثرفي فنون المغازي والسير ، دار عز للطباعة بيروت لبنان 1989م.**
**- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بيروت لبنان سنة 1974.**
**- ابن عطاء الله السكندري : لطائف المننفي مناقب أبي العباس وشيخه أبي الحسن د ت.**
**- ابن العربي القاضي ، أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي : أحكام القرآن ،بيروت لبنان دت .**
**- ابن عربي ، أبو بكر محيي الدين بن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية . تحقيق وتقديم عثمان يحيى تصوير ومراجعة إبراهيم مدكور- القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1972م.**
**- ديوان ابن عربي ، نسخة مصورة عن مطبعة بولاق جامعة القاهرة د. ت.**
**- فصوص الحكمة ط البابي الحلبي سنة 1946م.**
**- ابن الفارض : ديوان عمر بن الفارض ،مكتبة القاهرة 1980.**
**- ابن مطروح ، الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين : ديوان ابن مطروح مطبعة الجوائب القسطنطينية 1268هـ**
**- ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق إبراهيم الأبياري و مصطفى السقا ط2 مصطفى البابي الحلبي د.ت**
**- أبوحامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار نهر النيل دت.**
**- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : الجامع الصحيح - صحيح مسلم- دار المعرفة بيروت لبنان مكتبة جامعة القاهرة سنة 1983م.**
**- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط2 سنة 1992م.**

- أبو داود : مسند أبي داود ،مطبعة أنصار السنة القاهرة سنة1948م
- أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل علي إبراهيم :تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين تحقيق محمد زاهي أبو الحسن الكوثري مكتبة الثقافة الإسلامية سنة 1947م.
:الروضتين في أخبار الدولتين - دار الجيل بيروت لبنان د .ت
- أبو الفداء الحافظ بن كثيرالدمشقي :
- البداية والنهاية - مكتبة المعرفة بيروت سنة 1932
- المختصر في أخبار البشر - المطبعة الحسينية المصرية د ,ت
- تفسير القرآن العظيم - مكتبة التراث الإسلامي حلب سوريا سنة1980م.
- الباعث الحثيث في اختصارعلوم الحديث - مطبعة حجازي القاهرة د .ت
- الألوسي : تفسير روح المعاني ، دار الكتب العلمية سنة 2001م
- الباقلاني : إعجاز القرآن الكريم ، تحقيق السيد أحمد صقر ،دار المعارف 1963م.
- البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح أبي عبدالله البخاري تقديم أحمد محمد شاكر بيروت لبنان دارالجيل سنة 1980م مكتبة جامعة القاهرة .
- البرسوي ، إسماعيل حقي البرسوي : تفسير روح البيان دار إحياء التراث دت.
- البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد بن عمر بن محمد الشيرازي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مؤسسة شعبان د ت .
- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ت 458هـ : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وفّق أصوله وأخرج حديثه وعلق عليه عبدالمعطي قلعجي - بيروت لبنان دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1985م .
- الجرجاني ، عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة. القاهرة سنة 1972م.
- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن أبو بكر السيوطي : الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، تحقيق محمد خليل هراس - القاهرة دار الكتب الحديثة سنة 1976م.
- تنوير السالك على شرح موطأ مالك - بيروت لبنان دار الندوة الجديدة سنة1969م.
- الحاوي في الفتاوي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1952م.
- مسالك الحنفا في والدي المصطفى د.ت
- التعظيم والمنة في أنّ أبوي الرسول ρ في الجنة . تحقيق وتعليق عزب محمد عزب ، القاهرة دار الأمين ط1 دت.
- نسب النبي ρ تحقيق عزب محمد عزب.

- الشاب الظريف : ديوان الشاب الظريف ، المطبعة الأهلية بيروت د ت .
- الشعراني : الطبقات الكبرى، مكتبة الأزهر 1289هـ.
- الطبري ، محمد بن جرير الطبري:جامع البيان في تفسير القرآن جمع أبي يحيى محمد بن طمادح التجيبي ، مجمع البحوث الإسلامية - دار الفكر العربي سنة 1993م.
- العز بن عبدالسلام :حل الرموز ومفاتيح الكنوز، جريدة الإسلام بمصر - مكتبة جامعة القاهرة .
- العزيزي ، علي نور الدين بن إبراهيم الشهير بالعزيزي : السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير مصر سنة 1304هـ مكتبة جامعة القاهرة.
- القرطبي ، أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1957م .
- محمد رشيد رضا : تفسير المنار، دار المعرفة بيروت ، دت.
- ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي : معجم الأدباء مطبعة دار المأمون دت.
- يوسف بن إسماعيل النبهاني : المجموعة النبهانية في المدائح النبوية دار الغد العربي د.ت

ب- المراجع :
- إبراهيم الدسوقي جاد الرب : حول البردة ط 1997م.
- إبراهيم أنيس :دلالة الألفاظ ، الأنجلو المصرية ط1 سنة1972م.
- إحسان عباس : فن الشعر، دار الثقافة بيروت ط 3بيروت 1970م
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، بيروت سنة 1971م.
- أحمد أحمد بدوي: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية لمصر والشام -مكتبة نهضة مصر - الفجالة ط 1 دت
- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، مكتبة نهضة مصر سنة1951م .
- أحمد توفيق عياد : التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ، مكتبة الأنجلو 1970م.
-أحمد تيمور : أبوالعلاء نسبه وأخباره وشعره ، مكتبة الأنجلو ط2 سنة 1970م.

- أبوالعلا عفيفي : التصوف الصورة الروحية في الإسلام .ط دار المعارف سنة 1967م.
- أبو الوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي . دار الثقافة، القاهرة سنة 1983.
- آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه . ترجمة عبدالرحمن بدوي سنة 19655م.
- أحمد ديدات ،محمد المثال الأسمى ، ترجمة محمد مختار دار المختار للنشر والتوزيع والتصدير د.ت .
- بكري شيخ أمين : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، دار الآفاق بيروت لبنان ط2 1980م
- جابرعصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي دار التقافة القاهرة سنة 1974م.
- خطري عرابي : البنية الأسطورية في سيرة سيف بن ذي يزن سنة 1997م.
- حفني شرف : البلاغة العربية ، مكتبة الشباب سنة 1973م.
- زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، مطبعة البابي الحلبي 1935 مكتبة جامعة القاهرة .
- رينولد نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ،ترجمة دكتور أبو العلا عفيفي 1959م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى مكتبة الأنجلو سنة 1963م.
- السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة ، مكتبة مصر بالفجالة دار مصر للطباعة دت.
- سيد عبدالتواب عبدالهادي : الرمزية الصوفية في القرآن الكريم دار المعارف 1979م.
- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي
- عصر الدول والإمارات دار المعارف سنة 1985م
- البلاغة تطور وتاريخ.
- عارف تامر :ثلاث رسائل إسماعيلية ، دار الأندلس 1990م.
-عاطف جودة نصر : الخصائص الفنية والخصائص الصوفية في شعر عمر بن الفارض ، رسالة ماجستير1971م.
- الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس 1988م.

- عبدالحفيظ بن محمد مدني : أخبار الحلاج ، مطبعة الجندي سنة 1970م.
- عبدالحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، ط الأنجلو سنة 1954م.
- عبدالحليم محمود : المنقذ من الضلال ، دار المعارف1988 " عرض وتقديم"
- أبو مدين الغوث ، مطبوعات الشعب سنة 1972م.
- عبدالرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي ط2 بيروت لبنان دار العلم سنة 1977م.
- عبدالصمد صارم الهواري : البشائر ( وهي بشارات بالنبي ρ من كتب كافة الأديان) مكتبة جامعة القاهرة د ت.
- عبد العزيز عتيق : علم البديع ، دار النهضة العربية بيروت ، 1977م.
- عبداللطيف حمزة :أدب الحروب الصليبية ـ مطبعة الاعتماد . مصر سنة1949م.
- عبدالله شُبَّر : تفسير القرآن العظيم . راجعه الدكتور حامد حنفي داود الطبعة الثالثة
- دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان سنة 1978م
- عبدالمجيد نعمان : بين الحبشة والعرب ، دار المعارف مصر د .ت.
- علي صافي حسين : ابن دقيق العيد حياته وديوانه ط دار المعارف مصر 1960م
- الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ، دار المعارف سنة 1961م.
- عمرو موسى باشا : الأدب العربي في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ـ المكتبة العامة دمشق سنة 1991م.
- عوض الغباري : دراسات في أدب مصر الإسلامية ، دار الثقافة العربية 2004م.
- شعر الطبيعة في الأدب المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1986م.
- نقد الشعر في مصر الإسلامية ، مطبعة غريب القاهرة سنة 1996م.

- محمد أبو موسى : التصوير البياني ، مكتبة وهبة دار التضامن للطباعة ط2 سنة 1980م.
- محمد حافظ دياب :إبداعية الأداء في السير الشعبية ـ مكتبة الدراسات الشعبية سنة 1997م.
- محمد حسن عبدالله :الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف سنة 1981م.

- محمد رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، المطبعة النموذجية 1959م.
- محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ، مطبعة النجاح القاهرة سنة1961م.

**- محمد زغلول سلام : الأدب في عصر صلاح الدين الأيوبي -ط1 دت**
**- الأدب في العصر الأيوبي -دار المعارف سنة1997م**
**- محمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام - دارالتراث ط9 سنة 1984م.**
**- ديوان البوصيري ، مكتبة جامعة القاهرة .**
**- محمد عبده الحجاجي : أبو الحجاج الأقصري قطب زمانه ومدده سنة1987م**

**- محمد عثمان عبده البرهاني : تبرئة الذمة في نصح الأمة - الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية د.ت.**
**- انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، الخرطوم 1999م**
**- أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية - سوريا د ت.**
**- محمد عزت إسماعيل : محمد نبي الإسلام ρ في التوراه والإنجيل والقرآن ، مطبعة التقدم مصر 1972م.**
**- محمد علي أبو ريّان : الإشراقية مدرسة أفلاطونية إسلامية ، مقال ضمن كتاب شهاب الدين السهروردي في الذكرى المئوية الثامنة ، الهيئة العامة للكتاب سنة 1974م.**
**- اصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، دار المعرفة الجامعية سنة2002م.**
**- محمد عيد العباسي : التوسل أنواعه وأحكامه - بحوث كتبها وألقاها محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية بيروت لبنان سنة 1996م.**
**- محمد غنيمي هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، القاهرة ط2 1960م.**
**- محمد فؤاد شاكر : الأحاديث الموضوعة عند الصوفية في القرن السابع الهجري .كلية التربية جامعة عين شمس 2002م/**
**- محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1949 مكتبة جامعة القاهرة .**
**- محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعرالمعاصر ط2 دار المعارف ، القاهرة 1978م.**
**- محمد فهمي عبداللطيف : ألوان من الأدب الشعبي ، دار المعارف - مصر د ت.**
**- محمد لبيب البوهي : صورمن حياة الرسول ρ مطبعة المعرفة سنة 1976م.**

**- محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية تاريخها ونظامها وعقائدها ، مطبعة النهضة المصرية سنة1959م.**
**- في الأدب المصري الإسلامي من الفتح إلى دخول الفاطميين مصر، مطبعة الاعتماد سنة 1953م.**
**- في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة دت .**
**- نظرية المثل والممثول وأثرها في شعر مصر الفاطمية ، مطبعة الفكر سنة1948م.**
**- محمد لبيب البوهي : صور من حياة الرسول ρ القاهرة 1976م.**
**- محمد مهدي الأصفي : الإمامة في التشريع الإسلامي ، دار الثقافة بيروت 1974م.**
**- محمود محمد عمر : طريق الوصول إلى الحبيب الموصول- المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية 1973م.**
**- مصطفى سويف : الأسس الفنية للإبداع الفني ط2 دار المعارف مصر سنة 1969م.**
**- مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ،مكتبة مصر سنة 1958م.**
**- مصطفى كمال وصفي : الإمام الكبير أجمد الرفاعي وطريقته - المطبعة الأحمدية الرفاعية بالوراق د ت .**

**- يوسف خليف : في الشعر العباسي نحو منهج جديد مكتبة غريب الفجالة سنة 1994م.**

## ج- رسائل جامعية :

**- غريب محمد علي أحمد : الاتجاه الديني في شعر القرن السابع الهجري في مصر(رسالة دكتوراه )**
**- ماجدة أحمد قنديل : المدائح النبوية والتراث الشعبي ( من الجانب الموسيقي ) المعهد العالي للموسيقى العربية .**
**- محمد صلاح الدين عيد : المدائح النبوية في الشعر العربي حتى البوصيري ، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة.**
**- محمد كامل حسين : الأدب العربي بمصر والشام من الفتح إلى الحملة الفرنسية ،كلية الآداب جامعة القاهرة .**
**- محمد علي عبدالعزيز الأطرش : صورة النبي الكريم ρ في شعر صدر الإسلام ،كلية الآداب جامعة القاهرة .**

- مخيمر صالح موسى : المدائح النبوية بين البوصيري والصرصري، ماجستير آداب القاهرة 1970م.

## د- إصدارات :

- سيرة سيد المرسلين : دارالآفاق الجديدة بيروت لبنان سنة 1982م مجموعة علماء
- مولد نبي الرحمة ورسول الإنسانية سيدنا محمد ρ عن المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ربيع الأول سنة 1395هـ

هـ - المعاجم :

- لسان العرب لابن منظور
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- تاج العروس للزبيدي.
- الرائد ، معجم لغوي عصري ـ خيرات مسعود ط 1 بيروت سنة 1964 م ص(522) معجم الرائد معجم لغوي عصري ـ خيرات مسعود ط 1 بيروت سنة 1964م

و - برنامج المكتبة الشاملة ( كتب ألكترونية بالحاسوب)

- شبكة المعلومات الدولية ( الإنترنت )